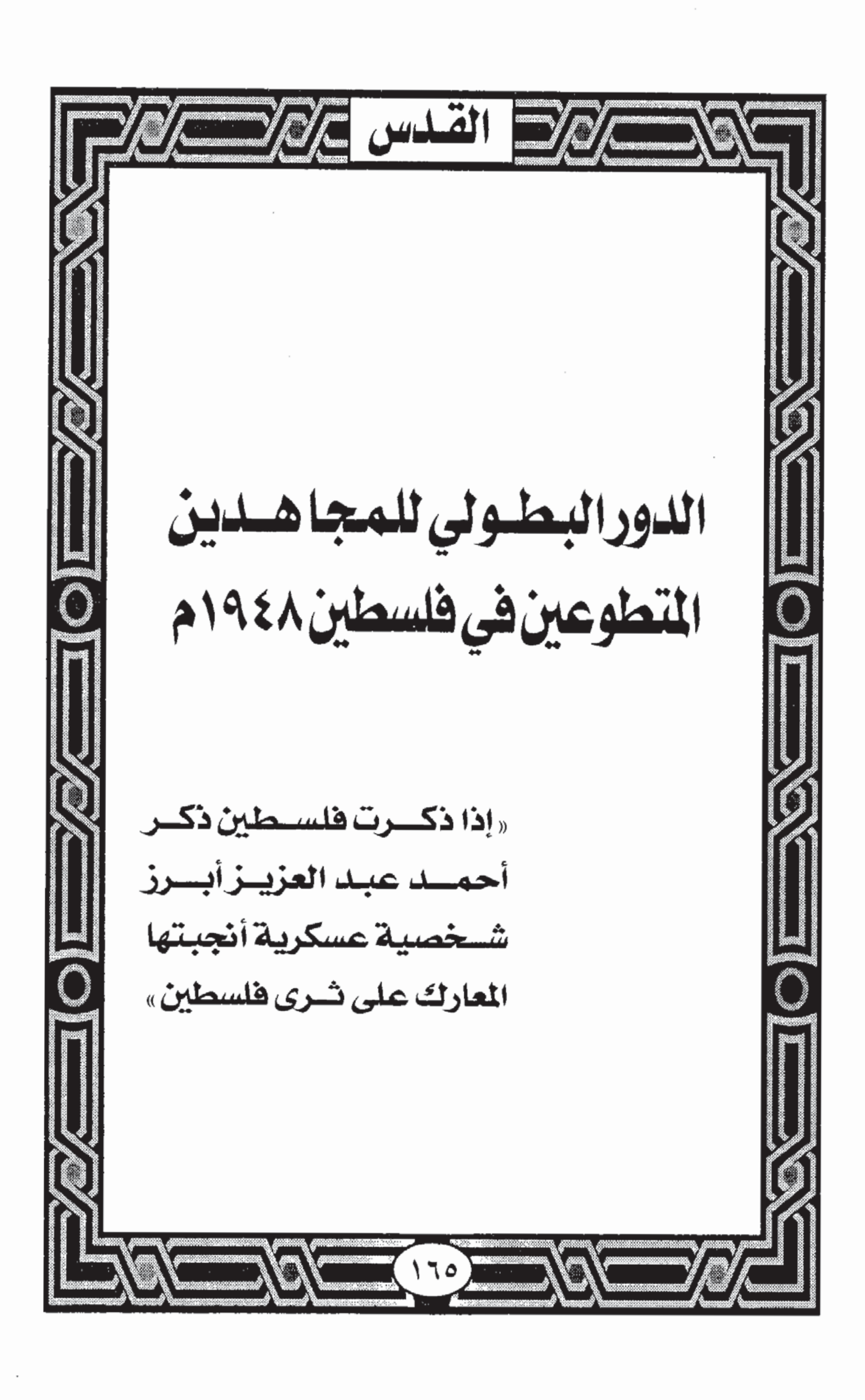


الدور البطولي للمجاهدين المتطوعين في فلسطين ١٩٤٨م

«إذا ذكرت فلسطين ذكر
أحمد عبد العزيز أبرز
شخصية عسكرية أنجبتها
المعارك على ثرى فلسطين»

الدور البطولي للمجاهدين المتطوعين في فلسطين ١٩٤٨م

❑ لا يستطيع أي منصف إلا أن يسجل الدور البطولي العظيم للمجاهد العظيم الشيخ حسن البنا ورجاله من الإخوان المسلمين تجاه قضية فلسطين وبلاؤهم الكبير لتحرير القدس من أيدي الغاصبين.

❑ أقولها للَّه ثم للتاريخ ـ وأنا لست من الإخوان المسلمين ـ: أنه إذا ذُكِرت قضية فلسطين وحرب ١٩٤٨ لا بد من ذكر بطولات الإخوان وجهادهم الجميل.. لا نحابي في ذلك أحدًا وأجرنا على اللَّه... وإن أخذنا عليهم أشياء فسنذكرها في فصل «العقيدة أولاً»، ولا نقصد بهذا تتبع الأخطاء ـ لا واللَّه ـ وإنما هو من باب النصح للَّه ولرسوله ولأئمة المسلمين وجماعتهم. ورائدنا في هذا قول ابن القيم: «والبصير الصادق يضرب مع كل قوم بسهم ويعاشر الناس على أحسن ما عندهم».

❑ قال الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ مصورًا مكانة فلسطين:

«وفلسطين تحتل في نفوسنا موضعًا روحيًّا قدسيًّا فوق المعنى الوطني المجرد، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصديقين والمسيح عليه السلام، وكل ذلك ما ينعش النفوس ويغذي الأرواح؛ وبناء عليه فإن الإخوان المسلمين يعتقدون اعتقادًا جازمًا بأن:

«فلسطين جزء من العقيدة الإسلامية، وأن أرضها وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يفرط أو يتنازل، ولو عن جزء صغير جدًّا منها، ولذلك فهي ليست ملكًا للفلسطينيين أو العرب

فحسب بل هي ملك للمسلمين جميعًا، فعلى المسلمين في كل مكان أن يساهموا عمليًا في تقديم المال والدم للدفاع عنها»[١] .

☐ وقال الشيخ حسن البنا: «إن اشتراك اليهود الفعلي في مد العصابات الصهيونية بفلسطين بكل صنوف المساعدة» جعل الإخوان المسلمين يطبقون عليهم الشرط الثاني الخاص بغير المسلمين وهو: «فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدي».

«إن الإخوان المسلمين يعتبرون الصراع بين المسلمين واليهود صراعًا له طبيعة خاصة تفرده عن سائر الصراعات الدولية، ولا تجعل من بين وسائل حلوله الحل السلمي؛ لأنه صراع بين الإسلام واليهودية منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى وحتى الآن»[٢] .

* من أقوال رجالات الإخوان:

☐ «إن القول ما لي ولفلسطين في هذه الظروف معناه ما لي وللإسلام.. ليست قضية فلسطين قضية وطن جغرافي تدينون به، فما فلسطين إلا قطعة مصابة من الجسد الإسلامي العام، ولبنة مزعزعة من لبنات بنيانة، فكل قطعة لا تتألم لألم فلسطين ليست من هذا الجسد، وكل لبنة لا تختل لاختلال فلسطين ليست من هذا البنيان»[٣] .

☐ «إن قضية فلسطين لم تحل ليس لأن المسلمين لا يقدرون بل؛

(١) «الطرق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨) نقلاً عن نشرات الإخوان المسلمين، النذير، ومجموعة رسائل الشيخ حسن البنا.
(٢) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩٥).
(٣) انظر «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩١) نقلاً عن «تصور الإخوان للقضية الفلسطينية سلسلة أوراق في تاريخنا المعاصر» للدكتور عبد الفتاح العويسي.

لأنهم لا يريدون وهم لا يريدون؛ لأنهم لا يشعرون».

◻ «لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق، وأن أشد مايمكن لأعدائكم في دياركم قعودكم عن نصرة إخوانكم».

◻ عندما علم الإخوان بإن هنالك مؤامرة لإجهاض الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٣٦، وجهوا رسالة إلى الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا: «اثبتوا حتى تتحقق مطالبكم، وأن اعلموا أن موتًا في سبيل الكرامة خير من حياة يرزخ الإنسان معها تحت نير العبودية[1].

◻ واعتقد الإخوان المسلمون منذ انتفاضة ١٩٣٥م، وجهاد الشيخ القسّام وإخوانه أن فلسطين أعادت مفهوم الجهاد إلى الواقع العملي، بعد أن تركه المسلمون لفترة طويلة من الزمن نتيجة لحبهم الدنيا وكراهية الموت، يؤكد ذلك الشيخ حسن البنا بقوله: «إن القضية الفلسطينية أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى، عندما قام الفلسطينيون يحسنون من جديد صناعة الموت، وعندما سرى هذا التيار من نفس الفئة المجاهدة القليلة في جوار الحرم المقدس إلى شباب الإسلام والعرب، في بغداد ودمشق والقاهرة، وغيرهم»، ويخاطب الإمام حسن البنا أهل فلسطين بقوله: «أيها الفلسطينيون، لو لم تكن منَ نتائج ثورتكم إلا أن كشفتم غشاوة الذلة وحجب الاستسلام عن النفوس الإسلامية وأرشدتم شعوب الإسلام إلى ما في صناعة الموت من لذة وجمال وروحه وريح لكنتم الفائزين»[2].

---

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ١٩١).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

وقال الشيخ البنا «إن حل القضية الفلسطينية سيكون بالوحدة والجهاد»[١].

في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين» وفي فصل «الإخوان وقضية فلسطين» يقول الأستاذ «حسن الجمل»: إن الإخوان المسلمين هم أول من تبنى هذه القضية. ففي عام ١٩٢٧ أرسل الشيخ حسن البنا رسالة إلى مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، وفي عام ١٩٣١ بعث الإمام برسالة إلى المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٢٩ وتضمّنت الرسالة عدة مطالب منها: أن من واجب المؤتمر أن يعالج مسأله شراء اليهود للأراضي الفلسطينية، وفي نفس العام اندلعت الثورات والتظاهرات في فلسطين فتجاوب معها الإخوان في مصر، وفي عام ١٩٣٣ أرسل الإخوان وفدًا لنشر الدعوة خارج مصر بدأ بفلسطين.

وفي يوم ١٩٣٣/٨/١١ قامت أول تظاهرة عامة في مصر في جميع أنحاء البلاد تردد هتافات «النصر لفلسطين والموت للصهاينة».

وفي مارس ١٩٣٥ نادى البنا في اجتماع مجلس الشورى في العام الثالث للإخوان بجمع التبرعات لمساندة قضية فلسطين.

وفي عام ١٩٣٦م قامت الثورة العربية بفلسطين وساندها الإخوان، ووزعوا المنشورات التي تهاجم اليهود، ودعوا لمقاطعة المحلات اليهودية.

وفي عام ١٩٣٨م دعا الإخوان إلى عقد مؤتمر الدول العربية لدراسة مشكلة فلسطين، وكان ممن حضر وحاضر في هذا المؤتمر «فارس الخوري» رئيس الوزراء السوري في وقتها.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٠٠).

وفي عام ١٩٣٩ بدأت حملة «قرش فلسطين» وقام الإخوان بجمع التبرعات وظهرت الحاجة إلى السلاح، فقامت حملة الإخوان لجمع وشراء السلاح من أجل فلسطين.

وفي ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ أعلنت الأمم المتحدة ـ التي جمعت الكفر بأنواعه والمتآمرة على المسلمين ـ قرار تقسيم الأراضي الفلسطينية بين العرب واليهود.

وعقب قرار التقسيم قامت الجماعة بتنظيم «تظاهرة[١] مصر الكبرى» اشترك فيها قرابة نصف مليون من جميع الطوائف واشترك فيها الأزهر والجامعة وتجمّعت في ميدان الأوبرا بفندق الكونتنتال وخطب في الناس الأمير فيصل بن عبد العزيز.

وخطب الأستاذ البنا فقال: «لبيك فلسطين... دماؤنا فداء فلسطين.. أيها الزعماء.. أنتم القادة... وهؤلاء الجنود.. عاهدوا اللَّه وعاهدوا الوطن على أن يموتوا من أجله... إنه وإن كان ينقصنا اليوم السلاح فسنستخلصه من أعدائنا ونقذف بهم في عرض البحر... لقد تألّبت الدنيا تريد أن تسلبنا حقنا، وقد عاهدنا اللَّه أن نموت كرامًا أو نعيش كرامًا.

إنني أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرّعوا بدواء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في سبيل فلسطين... وهم على أتم استعداد لتلبية ندائكم»[٢].

---

(١) المظاهرات ليست من وسائل الدعوة عندنا كسلفيين فوسائل الدعوة توقيفية.

(٢) «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» لمحمود عبد الحليم (١/ ٤١٢) ـ دار الدعوة بالاسكندرية.

وفي مايو سنة ١٩٤٨م كان زعماء الدول العربية مجتمعين في «عالية» بلبنان فأرسل إليهم الأستاذ البنا برقية يعدهم فيها بما وعد من قبل في كلمته بإدخال عشرة آلاف مجاهد كدفعة أولى إلى فلسطين.

وفتح الشيخ البنا باب التطوع فسارع الآلاف بالانضمام.

وكتبت فتاة صهيونية تدعى «روث كاريف» في جريدة «الصنداي ميرور» في مطلع عام ١٩٤٨، ونقلتها جريدة «المصري» لقرّائها في حينه قالت: ـ وهذا هو بيت القصيد: «إن اليهود في فلسطين الآن هم أعنف خصوم الإخوان المسلمين، ولذلك كان اليهود الهدف الأساسي لعدوان الإخوان».

وبعد هجوم عنيف على الأستاذ البنا ختمت مقالها قائلة:

«وإذا كان المدافعون عن فلسطين ـ أي اليهود ـ يطالبون الآن مجلس الأمن بإرسال قوة دولية لتنفيذ مشروع التقسيم الذي أقرّته هيئة الأمم المتحدة، فإنهم لا يطالبون بذلك لأن الدولة اليهودية في حاجة إلى الدفاع عن نفسها، ولكنهم يريدون إرسال هذه القوة الدولية إلى فلسطين، لتواجه رجال الإخوان المسلمين وجهًا لوجه، وبذلك يدرك العالم كله الخطر الحقيقي الذي تمثله هذه الحركة».

«وإذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة في وقت قريب، فإن أوربا ستشهد ما شهدته في العقد الماضي من القرن الحالي، إذ واجهتها حركة فاشية نازية، فقد تواجهها في العقد الحالية امبراطورية إسلامية فاشية، تمتد من شمالي أفريقيا إلى باكستان، ومن تركيا إلى المحيط الهندي»[1].

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» لكامل الشريف ص(٣٢ ـ ٣٣) ـ دار الوفاء بالمنصورة.

☐ سافر بعض شباب الإخوان إلى فلسطين عام ١٩٣٥، ١٩٣٦ وشاركوا مشاركة فعلية في حركة الجهاد على أرض فلسطين والتي أشعلها الشيخ عز الدين القسام ـ رحمه اللَّه ـ.

☐ وتأسس فرع لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين عام ١٩٤٥، وبهذا وضعت لبنة في إيقاظ الوعي الإسلامي على أرض فلسطين، وتحقيق الترابط وأخوة الإسلام.

☐ وتوجه الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين وقائدهم العسكري إلى فلسطين عام ١٩٤٧م؛ لتوحيد صفوف المجاهدين على أرض فلسطين، وتكوين جيش من أهالي فلسطين للدفاع عنها، إلا أن الإنجليز تنبهوا لهذا الأمر، فقاموا بطرده بالقوة.

توجه المجاهد محمود عبده مع رعيل من إخوانه إلى سورية حيث تم إقامة معسكر في جنوبي دمشق لتدريب المتطوعين من أهل فلسطين على حمل السلاح والمشاركة في أعباء الجهاد، إلا أن الدولة العربية قد أغلقته بناء على طلب كلايتون رئيس المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط بل وجردت الفلسطينيين من سلاحهم.

☐ الاتصال بالنظام الحاكم في مصر وبجامعة الدول العربية وبعض الشخصيات حتى أمكن فتح باب التطوع داخل مصر للراغبين في الجهاد في فلسطين، كما أمكن فتح معسكر الهايكستب لاستقبال المتطوعين وتدريبهم على حمل السلاح، وقد ساهم في هذا خبرة بعض ضباط الجيش المصري.

☐ تكوين فرق من الإخوان لجمع السلاح والذخيرة من الصحراء الغربية وتنظيفه وإعداده للاستعمال، وكان ذلك بتصريح من النظام

الحاكم في مصر، الذي صرح في نفس الوقت لليهود المقيمين في مصر بنفس الشيء، بل سمح لهم بتجهيز فيلق يهودي شارك في الحرب العالمية الثانية، وكان نواة لجيش اليهود على أرض فلسطين، والعجيب أنه بعد فترة قامت الحكومة المصرية على عهد محمود فهمي النقراشي بسحب التصريح الممنوح للإخوان المسلمين بجمع السلاح من الصحراء الغربية، في الوقت الذي تركت الأمر مفتوحًا لليهود على أرض مصر.

❑ في ٢ نوفمبر ١٩٤٧ الشيخ حسن البنا يقود مظاهرة[١] بدأت من الأزهر الشريف بعد أن ألقى كلمة ذكَّرهم فيها بواجبهم حيال بيت المقدس، وضرورة تحريض النظام المصري على فتح معسكرات التدريب، وتدريب الشباب وتسليحه وتكوين الكتائب.

❑ الجماهير المتحمسة تتجه إلى قصر عابدين مقر حاكم مصر تطلب السلاح وتهتف اللَّه أكبر حي على الجهاد هيًّا إلى فلسطين... هيا إلى فلسطين.

❑ وهكذا نجح الإخوان في تعبئة الجماهير المصرية والضغط على النظام المصري، ولم يكن ذلك خافيًا على الإنجليز وأعوانهم الذين كانوا يحتلون مصر.

❑ الحكومة المصرية ـ تحت ضغط التيار الشعبي بقيادة الإخوان تقرر ذرًّا للرماد في العيون، وتهدئة للجماهير الغاضبة، السماح بفتح باب التطوع أمام الراغبين في الجهاد.

❑ الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين وقائد وحداتهم

---

(١) لا نقر المظاهرات كوسيلة من وسائل الدعوة، فوسائلها توقيفية.

العسكرية ينجح في إقامة معسكر التدريب في الهايكستب، تتولى الجماعة العربية إمداده وتنظيمه، ويشرف على التدريب فيه جندي ممتاز هو البكباشي حسين مصطفى من رجال الجيش العامل.

- إقبال شديد من شباب مصر على التطوع، مع أن عهد الناس بهم أنهم ينفرون من الجندية، وذلك يعني أن جماعة الإخوان قد نجحت في استجاشة مشاعر الإيمان والرغبة في الجهاد في قلوب الجماهير.

ووصلت الكتيبة الأولى للإخوان المسلمين المجاهدين بقيادة الشهيد يوسف طلعت إلى أرض فلسطين في فبراير ١٩٤٨، وبعدها بفترة لحقت بها الكتيبة التي تدربت في معسكر هايكستب بقيادة البكباشي الورداني الذي لحق به البكباشي أحمد عبد العزيز بعد ذلك، وقد كان البطل أحمد عبد العزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية وهو الذي تولّى قيادة المتطوعين والتنسيق بينهم وبين الجيش المصري، وقد التحمت هاتان الكتيبتان مع المجاهدين الذين تدربوا في سوريا في معسكر البريج بغزة في وقت لاحق.

وقد لحق بهذه الكتائب قوات الجيش المصري بقيادة اللواء أحمد علي المواوي في ١٥ مايو ١٩٤٨ ومع وصول هذه القوات، تحركت كتيبة البكباشي أحمد عبد العزيز في اتجاه بئر سبع، ومنها إلى الخليل ومنها إلى بيت لحم حيث عسكرت، وهناك دارت معارك كبيرة أمام مستعمرة رامات راحيل.

كما تحركت فصائل من كتيبة الإخوان الأولى من البريج إلى بئر سبع والعوجة وهاجموا كثيراً من مستعمرات العدو.

كما تحركت القوات التابعة للقائد محمود عبده إلى بيت لحم.

وكان الإخوان المسلمون المجاهدون حريصين منذ اللحظة الأولى على منازلة العدو اليهودي رغم قلة العدد والعتاد، قدموا فيها شهداء وكثيراً من التضحيات وغنموا من العدو الكثير من العدة والعتاد والغذاء.

خاضوا المعارك منفردين، وتارة أخرى متعاونين مع قيادة الجيش المصري، وقد قدّم لنا تاريخًا لهذه الأحداث الأستاذ كامل الشريف «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» لا غنى لأي قارئ مسلم يهتم بأمر فلسطين عن قراءته، والإفادة مما فيه من دروس وعبر»[١].

* **معركة مستعمرة كُفّار ديروم[٢] ... دروس وعبر** أول معركة يخوضها الإخوان ضد اليهود:

كفار ديروم مستعمرة يهودية بدير البلح، تقع على طريق خان يونس/غزة. وتتميز بأبراجها الضخمة وتحصيناتها القوية التي تسمح بمجال للرؤية والرماية على مسافات بعيدة، وكان يحيط بالمستعمرة الأسلاك الشائكة والألغام الكثيفة، التي تجعل مهاجمتها ضربًا من المخاطرة.

وكانت كل مستعمرة وحدة دفاعية كاملة أي: مجهزة تجهيزاً كاملاً بالأفراد ومعدات القتال والإعاشة التي تمكنها من الصمود لوقت طويل في حالة الحصار، كما أن أفرادها كانوا على درجة عالية من الكفاءة نتيجة التدريبات المكثفة التي كانوا يتلقونها بل كان في إمكان حراس هذه المستعمرات من اليهود (الهاجاناة) مراقبة الداخل والخارج إليها، وقطع الطريق في أي وقت يشاءون وهم خلف أبراجهم الشاهقة المسلحة دون

---

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨).

(٢) «الطريق إلى بيت المقدس» (٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) نقلاً عن «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ومذكرات خطية للأخ أحمد عبد الغني الجندي.

أن يتعرضوا لأذى.

يشكل هذا النظام نظام المستعمرات اليهودية عقبة عنيدة أمام أي هجوم لتحرير فلسطين في المستقبل، بل ويظل نظامها أفضل وسيلة لحماية حدود الأمة العربية المترامية الأطراف، التي أهملت وأصبحت كلأً مباحًا للعدو يأخذ منها ما يشاء في أي وقت شاء.

وحينما وصل الفوج الأول من الإخوان إلى فلسطين، لم يكن لديهم معلومات كافية عن هذه المستعمرات اليهودية، فظنوا أنهم بمقدورهم مهاجمة هذه المستعمرات واحتلالها رغم ما كانوا يعانونه من نقص في الأسلحة والمعدات، ودفعهم إلى ذلك الرغبة الجارفة في منازلة اليهود الذين دنسوا أرض فلسطين، لتطهيرها من رجسهم؛ واستهانتهم بالحياة ورغبتهم الحقيقية في تحقيق النصر أو الشهادة.

«وقام الفوج الأول من متطوعي الإخوان المسلمين بقيادة الشهيد يوسف طلعت مع الأخ المقاتل كامل الشريف بهجوم عنيف على هذه المستعمرة فجر السبت ١٠ أبريل سنة ١٩٤٨م، وقد استخدموا فيها مدافع الهاون والبرن والقنابل اليدوية، وبعد أن بثوا الألغام حول المستعمرة ونسفوا جميع التحصينات الخارجية تقدم الفدائيون زحفًا إلى داخل المستعمرة، وقد استمرت المعركة ١٠ ساعات وأوشكت أن تسقط لو لا أن استنجد اليهود بالجيش البريطاني الذي كان ما زال محتلاً لفلسطين في هذا التاريخ، وكانت نتيجة المعركة أربعين قتيلاً من اليهود ومئات من الجرحى واستشهد من مجاهدي الإخوان اثنا عشر مقاتلاً كما جرح خمسة بجروح خفيفة، وكما قال الصاغ محمود لبيب: لقد أبلى جنودنا في هذه المعركة بلاءً حسنًا.

«وما أن وصل القاهرة خبر استشهاد الاثنى عشر حتى زادت حمية

القتال، وأصبح المركز العام ودور الإخوان خلية كخلية النحل يتوافد إليها المتطوعون يطلبون سرعة الالتحاق بكتائب القتال والتدريب في معسكر الهايكستب»(١) .

ولقد وصف هذه المعركة مراسل جريدة أخبار اليوم في غزة، كما نشرته جريدة الإخوان المسلمين اليومية في عددها رقم (٦٠٤) الصادرة في ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٨ أبريل سنة ١٩٤٨

«... ورأى القائد البريطاني الشهداء وأطلعه قائد الإخوان على تفاصيل المعركة، وكيف أن العرب لم يخسروا من أسلحتهم شيء، بل إنهم استعادوا أسلحة الشهداء والجرحى فدهش وذهب إلى حيث يرقد الشهداء والجرحى وأحنى رأسه قائلاً: «إنني في دهشة كيف استطعتم أن تفعلوا كل هذا، لقد كنت في فرقة الكوماندوس البريطانية، ولم أشهد جرأة كالتي رأيتها الآن، ولو كان معي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين، ثم تقدم القائد البريطاني إلى الجرحى المصريين وقبّل كل منهم في جبينه، وقال: من أي بلد هؤلاء الأبطال؟ فقالوا: من مصر»(٢) .

◘ بل وينقل الأستاذ حسن الجمل في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين»: «وكان بالصحيفة مقولة الطبيب الإنجليزي: «لو أن معي اثنا عشر ألفًا من هؤلاء لحاربت بهم العالم».

* نماذج فذة للشهادة في سبيل اللَّه:

«ورغم أن المعركة لم تحقق الهدف الذي كان يسعى إلى تحقيقه

---

(١) «مذكرات خطية».

(٢) «موسوعة الشهداء.. شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» لعبد الحليم الكناني ص(٨١ ـ ٨٢) ـ دار البشير.

المجاهدون إلا أنها ظلت مثلاً فريداً للبطولة والتضحية في سبيل اللَّه.

لقد سجل المجاهدون صوراً حية من جهاد الصدر الأول، فهذا أحدهم وهو المجاهد «محمد سلطان» من مجاهدي الشرقية، يزحف على بطنه حاملاً لغماً وهدفه أحد مراكز الحراسة في المستعمرة، ينتبه إلى الحراس اليهود، وهو على قيد خطوات من هدفه، فيطلقون عليه رصاصات تصيبه في ذراعه، وتعجزه عن المضي في زحفه، ولكنه يتحامل على نفسه، ويزحف بصعوبة والدماء تنزف من جراحه، والرصاص يتناثر من حوله، ويظل يجاهد بعناد حتى يقترب من هدفه فيشعل اللغم فينفجر، ويدمر مركز الحراسة ويقضي على البطل الفذ، ويمضي ليلاقي ربه شهيداً»[1].

وهذا المجاهد «عبد الرحمن عبد الخالق» يقود إحدى جماعات الاقتحام في المعركة، ويستمر في قتاله الرائع رغم أوامر الانسحاب التي صدرت إليه، فيقول: كيف ننسحب، وإخواننا في داخل المستعمرة؟! ثم يُذكر من معه بقول اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥].

ويظل يقاتل بشدة حتى تصيبه رصاصة قاتلة في رأسه لتضع اسمه في عداد الشهداء الخالدين.

وهذا مجاهد آخر هو «عمر عبد الرؤوف» تصيبه رصاصة في صدره فتبدوا على وجهه ابتسامة مشرقة، ويهتف بمن حوله «أترون ما أرى؟»، ثم يأخذ نفساً طويلاً، ويقول: هذه هي الجنة، إنني أراها...

(١) «الإخوان المسلمون» لكامل يوسف ص(٥٩).

وأشم رائحتـــهــا، ثم يلفظ أنفـاســه الطاهـرة، ليـمـضي إلى جنة ربه الموعودة[١].

وتعلم الإخوان درسًا لم ينسوه، وظل يقود خططهم وخطاهم طيلة الفترة التي قضوها على أرض الجهاد، لقد تعلموا أن مهاجمة المستعمرات اليهودية مع نقص الأسلحة والمعدات اللازمـة لديهم، هو انتحار محقق، وأن أفضل وسيلة لإنهاك العدو هو تطبيق نظام حرب العصابات وحصار المستعمرات والطرق الموصلة إليها، وقطع خطوط الإمداد والتموين عنها، وإجبار العدو إلى الخروج من المستـعمرة ليتمكنوا من منازلته في الأرض المكشوفة التي تشـمل صحراء النقب كلها وحـرب العصابات لا يمكن أن يقـوم بها إلا رجـال يؤمنون إيمانًا عمـيقًـا بالله، ثم بعـدالة الفكرة التي يحـاربون من أجلهـا، وأن يكونوا على مـسـتـوى رفـيع من التـدريب والذكاء، لأنهم يتعرضون في قتـالهم إلى كثير من المآزق الخطيرة، ولأن مهـمتهم الأسـاسية هي محـاربة العدو في أرض تحتلهـا قواته، ليثـيروا الرعب والفوضى في مـؤخرته، ويقومـوا بهجمات خـاطفة على طرق مواصلاته ويدمروا ما تقع عليه أعينهم من أسلحة ومعدات»[٢].

وباشر الإخوان تنفيذ هذه الخطة.

وشكَّل الإخوان عصابات صغيـرة للاستكشاف والاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو، وعن أرض المعركة، وأخرى لمحـاصرة المستعمرة، ومـراقبـة الطرق الموصلة إليـها، وأخـرى ترابط على طرق المواصـلات وتنصب الكمائن وتبث الألغام عليهـا، وأخرى تهاجم شبكات المياه التي

(١، ٢) «الإخوان المسلمون» ص(٦٥).

تغذي العدو لتحرمه من المياه، وأخرى لمنع أية إمدادات من الوصول إلى داخل المستعمرة.

ونجحت خطة الفئة المجاهدة القليلة العدد، البسيطة العدة، وأخرج اليهود من مستعمراتهم لحراسة شبكات المياه وإصلاحها، وحماية قوافل تموين المستعمرات، وبدأت المعارك وتحول النقب الجنوبي ميدانًا لمعارك مستمرة ليلاً ونهارًا بين الإخوان المجاهدين والعدو اليهودي، غنم أثناءها الإخوان كميات وفيرة من الأسلحة والعتاد والمواد التموينية.

* نموذج تطبيقي لحرب العصابات:

تدمير شبكة مياه العدو التي تغذي المستعمرة بالمياه.. خروج العدو لقتال الإخوان.. وكان هذا الذي يريده مجاهدو الإخوان.

حدث مرة أن قامت قوة من الإخوان بقيادة المجاهد «حسن عبدالغني» بتدمير شبكات المياه بين مستعمرتي «بيري» و«أتكوما» وأباحت أنابيب المياه لأعراب المنطقة ينتزعونها من الأرض تحت حراستهم، حتى نزعت من الأنابيب مساحات شاسعة، ثم رابطت في المنطقة لتمنع العدو من إصلاحها، وصبر اليهود يومين عسى أن تنصرف قوة الإخوان لشأنها، لكن القوة المرابطة العنيدة ظلت تواصل تدمير الأنابيب ونزعها والتعرض للمصفحات والقوافل التي تحاول إصلاحها فلم تجد القيادة اليهودية بدًا من الدخول في معركة مباشرة فجمعت عددًا كبيرًا من المصفحات من جميع المستعمرات وأحاطت بالقوة الصغيرة من جميع الجهات، وأخذت تقترب منها على أمل أن تظفر بها، وثبت الإخوان ثباتًا عجيبًا، وأوقعوا في اليهود عددًا من القتلى قبل أن يبعثوا في طلب

النجدات من معسكراتهم، وجاءت مصـفحات الإخوان وضربت الحصار حول مصفحات العدو الذي أسـقط في يده حين رأى نفسه محصوراً بين نارين، فاضطر إلى طلب نجدات أخـرى من المستعمرات القريـبة، وامتلأ ميدان المعركة بقوات كبيرة من الجانبين واشتد القتال بين الفريقين شدة لم يسبق لها مثيل، حتى يئس العدو من زحزحة الإخوان عن موقفهم فأخذ يطلق سحبًا من الدخان ليستر انسحابه، وما كادت أطباق الدخان تنجاب عن ميـدان المعركة حـتى سارع الإخوان يجـمعون غنائمـهم من السلاح ويعودون لتدمير الأنابيب من جديد.

وأيقن اليهود أنه لا قبل لهم بمواجهة هذه القوات المتفانية في حرب شريفـة، وحاولوا تسمـيم آبار الماء التي يستخـدمها الإخـوان في منطقة «خزاعة» حيث كـان المجاهد «نجيب حويفل» يرابط فيهـا بسريته، ولكن عين اللّه المبـصرة، ثم يقظة الإخوان مكـنتهم من اكتـشاف الجـريمة قبل وقوعـها، وذلك أنهم لمحوا رجلين يرتديان الملابس العـربية، ويتظاهران باستـجلاب الماء، وكان منظرهما يدعـو إلى الريبة فاقـترب منهم الجندي الحارس، وأمرهما بالوقوف فلاذا بالفرار فتـعقبهما الجندي الحارس وعدد من إخـوانه حتى أدركـوهما، ولم يبـق بينهمـا إلا خطوات، وأمرهمـا بالتسليم، وحين اقـترب الإخوان منهـما انبطحا على الأرض في سـرعة وقذفا على المهاجمين عددًا من القنابل اليدوية، وأسرع الإخوان بملاصقة الأرض، ثم أطلقوا عليهما النار فأردوهما قتيلين[١].

هذا هو النمـوذج يا أمـة الإسلام يـقظة.. انتبـاه.. رباط لا أمـة

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٦٨، ٦٩).

ترقص وتغني، ثم تنام حتى يأتي العدو ويضرب سلاح طيرانها بالكامل في الأرض.

جند الإخوان عددًا كبيرًا من شباب البدو على استعمال السلاح، ووكلوا إليهم الأعمال الخطرة والبدوي بطبيعته مقاتل قوي البأس فوق ما يتمتع به من مزايا تجعله بارعًا في الإخفاء والتمويه، وكان لهم أبعد الأثر في نجاح العمليات الخطرة التي أضلع بها الإخوان بعد ذلك».

أثبتت التجربة العملية أن بدو سيناء ممكن أن يكونوا عاملاً حاسمًا في المعركة مع اليهود.. فقد تحولوا بفضل اللَّه ثم بجهود رجال العقيدة إلى لبنات صالحة في بنية المجتمع المسلم ـ بعد أن فهموا ماذا يتطلب منهم. آمنوا باللَّه.. فأخلصوا للَّه، وتحول الفهم والإخلاص إلى عمل في صالح أمة الإسلام.. وتحولوا إلى مصدر من مصادر الإزعاج للعدو اليهودي.

وحين تشعبت أعمال الإخوان واتسعت الجبهات التي يحاربون منها وزادت القيود التي فرضتها الحكومة المصرية لمنع دخول المجاهدين مصر، قام الإخوان بتعويض احتياجاتهم من البدو وتشكلت منهم عدة سرايا كان يقوم بتدريبها وإعدادها الأخ (نصر الدين جاد).

□ أسند الإخوان إلى إخوانهم البدو مسئولية حماية أحد الحصون التي أنشأوها، وكانت تخرج منه العصابات تتعرض لقوافل الجيوش اليهودية، وتأسر وتقتل وتغنم، مما أغاظ اليهود ودفعهم إلى مهاجمة هذا الموقع في يوم ٧/١٩، وتصدى لهم الإخوان وإخوانهم البدو، وأوقعوا بهم خسائر فادحة، واستشهد في هذه المعركة التي جرت بالقرب من أبو معيلق، المجاهد سيد حجازي، وجُرح العديد منهم محمد القلاحجي

من إخوان الدقهلية»[١] .

* معركة كُفّار ديروم الثانية :

القائد أحمد عبد العزيز يفكر في مهاجمة المستعمرات اليهودية .

الشيخ محمد الفرغلي يبين له خطورة هذه الخطة مدللاً على ذلك بتجربة الإخوان في كفار ديروم .

القائد يُصر على رأيه، وما كان له أن يفعل، وشباب الإخوان يسمعون ويطيعون، وكان الثمن فادحًا من خيرة شباب الإخوان (سبعون شهيدًا، ومثلهم جرحى) .

«وكان ممن جرح فيها اليوزباشي البطل «معروف الحضري»[٢] فحمله الإخوان من داخل المستعمرة، حيث رحل للعلاج إلى القاهرة، وقبل أن يتماثل للشفاء عاد ليواصل جهاده ويلعب دورًا هامًا على مسرح الحرب» .

«انتهت «معركة ديروم الثانية»، ولم يكن أحمد عبد العزيز من شهودها، إذ كان يتلقى أنباءها أولاً بأول من مقر قيادته في (خان يونس)، وحين تلقى هذا النبأ جزع جزعًا شديدًا لفقد هذا العدد الضخم

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٧١ ـ ٧٤) .

(٢) وقد رقى معروف الحضري فيما بعد حتى وصل إلى رتبة اللواء وقُدر له أن يوضع في المعتقل على عهد الزعيم عبد الناصر وتعرض للتعذيب والإهانة!! لماذا؟ هذا الضابط الشجاع حاول مرات عديدة كسر حصار الفالوجة لإنقاذ الجيش المصري، وكان من بين أفراده جمال عبد الناصر. وأصيب معروف الحضري، وتعرض للأسر في يد اليهود، وردّ له عبد الناصر الدّين؟!

من خيرة رجاله دون أن يحقق أدنى نتيجة، فصمم على أن يوقع باليهود ضربة قاتلة».

*** معركة كفَار ديروم الثالثة والتلاحم الرائع بين البطل أحمد عبد العزيز والمجاهدينً من الإخوان:**

البطل أحمد عبد العزيز... بل الجبل أحمد عبد العزيز إذا ذُكِر اسم فلسطين ذُكِر اسمه لا ينساه تلاميذه من ضباط الجيش المصري، وهو يلقي عليهم محاضراته القيمة في كلية أركان الحرب، وبطولاته الرائعة التي سجّلها في ميدان الفروسية... ولا ينساه أهل فلسطين، وهو يسجل صفحات النور في تاريخ فلسطين... بطلاً مولعًا بالمغامرة، له الجرأة الخارقة، العالم بمقدرته وكفاءته وعنده اليقين كل اليقين بربه.

يُطبق بطلنا أحمد عبد العزيز حرب العصابات في معركته هذه.. لندع المجاهد الكبير كامل الشريف يقصّ علينا أنباء هذه المعركة:

«صمم ـ أحمد عبد العزيز ـ على أن يوقع باليهود ضربة قاتلة، وما كان إلاّ يومان حتى واتته الفرصة، ولم يضيّعها، ولقّن اليهود درسًا مرًّا وأعاد لقوته روحها المعنوية بعد هزيمتها في «كفار ديروم».

ضرب المجاهدون حصاراً محكمًا حول المستعمرة، وفي اليوم التالي للمعركة حاول العدو تحطيم هذا الحصار، وإدخال قافلة كبيرة محملة بالجنود والعتاد، وكانت هي الفرصة التي ينتظرها أحمد عبدالعزيز ويسيل لها لعابه فنظم لها (كمينًا) محكمًا، وحشد مدافعه على سفوح التلال المشرفة على الطريق، وحين دخلت في الدائرة التي رسمها، أمر اليوزباشي «حسن فهمي» قائد مدفعيته فانطلقت المدافع من أبعاد قريبة،

وحاول اليهـود الدفاع عن أنفسهم بادئ الأمر، ولكنهم وجـدوا أنفسهم محصورين داخل حلقة فولاذية، فاختاروا أهون الضررين وقذفوا أنفسهم من المصفحات وحاولوا النجاة بأرواحهم والفرار إلى مستعمرة (كفار ديروم).

وكـانت هذه خطوة مـحسـوبًا حـسابهـا في الخطة، إذ كـان الأخ المجاهد «علي صديق» يقـود فصيلة من المشاة مختبـئة بعناية وراء التلال الرقيبة، فلم يكد اليهود ينزلون من المصفحات ويتحركون تجاه المستعمرة، حتى انطلقت الرشـاشات من كل صوب فـحصدتهم حـصدًا، ولم ينج منهم أحد.

وحاول حماة المسـتعمرة نجدة إخوانهم، وتركـهم الإخوان يغادرون الأسلاك الشائكة ويبتعدون عنها، ثم بدأوا يطلقون عليهم النار من «أوكار» معدة بعناية حتى سقط منهم عدد كبـير، وتراجع الباقون إلى المستعمرة، وسكتت المدفعية، وأطبقت الرشاشات أفواهها الملتهبة، وأخذ المجاهدون يحصون ما غنموه، فإذا هم أمام خمس عشرة مـصفحة ضخمة مشحونة بأحدث طراز من الأسلحة والذخائر ومواد التموين ولأول مرة تعلو وجوههم ابتسامات الفرح بعد هزيمة الأمس، حين فتحوا إحدى المصفحات فوجدوها مليئة بالدجاج والطيور من مختلف الأنواع والأحجام.

وكان نصرًا رائعًا ردّ لهـذه الكتيبة المجاهدة اعتـبارها، وعوض لها خسارتها، وبعد هذه المعركة تغير الموقف واقتنع أحمد عبد العزيز بالنظرة الأولى، وهي أن مـهاجـمة المسـتعـمرات دون أن يكون مـعه عـدد من الدبابات الثـقـيلة، إن هو إلا ضرب من الانتـحـار، فأخـذ يسـتخـدم (تكتيكات) العصابات، ويضرب المستعمـرات بمدفعيته دون أن يهاجمها،

ويعترض طريق القوافل المصفحة ويبيدها عن آخرها، حتى أزعج اليهود إزعاجًا شديدًا وحرم عليهم التجول في صحراء النقب وكان مقدرًا لهذه الحركة أن تحرز نجاحًا رائعًا لولا ما جدّ على الموقف الحربي من أحداث وتطورات[١] .

بدأت القوة المصرية النظامية تزحف على فلسطين بقيادة اللواء «أحمد محمد علي المواوي» واحتلت في زحفها السريع كثيرًا من المدن الساحلية، ثم توقفت في «غزة» لتنسق عملياتها المقبلة، وكان مفروضًا أن يبدأ التنسيق بتوحيد القيادة في الجبهة المصرية، ويبدأ التعاون الفعلي بين قوات الجيش وقوات المتطوعين، وكان من رأي «المواوي» أن يخضع «أحمد عبد العزيز» لقيادة الجيش العامة؛ تنسيقًا للعمل وتوحيدًا للجهد، وكان يريد أن يجعل من كتيبته (قوة ضاربة) ترافق الجيش في عملياته.

غير أن أحمد عبد العزيز رفض هذه الفكرة، وأصر على أن يستقل بالعمل بحجة أنه يقود جماعات من المتطوعين لا يلتزمون بالأوضاع العسكرية التي يتلزم بها الجيش النظامي.

وأخيرًا رأى «المواوي» حسمًا للنزاع أن يتولى أحمد عبد العزيز قيادة منطقة (بئر السبع) ـ على ألا يتجاوزها شمالاً ـ فيدافع بذلك عن مفتاح فلسطين الشرقي، ويوزع قوات العدو بين جبهتين واسعتين، ويحمي ميمنة الجيش المصري من خطر الالتفاف.

وقبل أحمد عبد العزيز هذا الرأي فجمع قواته واخترق بهم صحراء النقب مارًّا بمستعمرة (العمارة) حيث ضربها بمدفعيته في ١٧ مايو،

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٨٤ ـ ٨٥).

ودخل بئر السبع حيث قابله السكان مقابلة رائعة. ولم يكد يستقر بها حتى بدأ أول حركاته بضرب مستعمرة (بيت إيشل) الحصينة، ثم شرع في توزيع قوته على هذه المنطقة. فأرسل جزءًا بقيادة البكباشي «زكريا الورداني» ليحتل (العوجة) و(العسلوج) العربيتين. وأبقى جزءًا آخر بقيادة اليوزباشي «محمود عبده» ليتولى الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها.

أما هو فقد اتخذ قيادته في المدينة، وأخذ يرسم الخطط لمهاجمة اليهود في كل مكان من الصحراء. وبدا إن الخلاف قد انتهى عند هذا الحد وحل محله التعاون والانسجام لولا أن جاء وفد من مدينة (الخليل) في ١٩ مايو وقابل أحمد عبد العزيز والتمس منه إرسال جزء من قواته للاشتراك مع الجيش الأردني في الدفاع عن الخليل وبيت لحم. وهنا نجد أحمد عبد العزيز يوافق على توزيع قوته. ويقرر الزحف إلى الخليل. غير عابئ بالتعليمات التي اتفق عليها مع القائد العام وغير عابئ بما قد تجره هذه الخطوة من مشاكل سياسية إذ أن هذه المناطق كانت تدخل ضمن الجبهة الأردنية حسب الخطة العربية العامة.

وفي يوم ٢٠ مايو زحف أحمد عبد العزيز إلى الخليل على رأس قوة صغيرة تاركًا مهمة الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها لليوزباشي «محمود عبده» وفصائل الإخوان المسلمين التي تعمل تحت قيادته.

*** البطل محمود عبده ورجاله من الإخوان المسلمين يواصلون حرب العصابات ضد اليهود بنجاح مدهش انطلاقًا من قاعدتهم في بئر سبع:**

تعالَ معي للنظر إلى المغاوير حماة بئر سبع وأعمالهم الرائعة:

ولقد حاول اليهود في ٧ مايو توصيل بعض المؤن إلى مستعمراتهم

المحصـورة. وكان الطريق الذي يسلكونه يمر فوق جسر مقـام على أحد الوديان العميقة. فقرر الإخوان نسف هذا الجسر حين مرور القافلة فوقه. وفعـلاً قامت قـوة من بئر السـبع بقيـادة المجاهد «علي صـديق» وبثت الألغام تحت الجسر. واختبـأت داخل الشعاب والمنحنيات القـريبة، ولم يطل بها الانتظار إذ تقدمت قافلة العدو وهي جاهلة تمامًا ما ينتظرها.

فما إن توسطت الجسر حتى انفجرت الألغام الهائلة وتطايرت أجزاء الجسر في الهواء. وانقلبت مصفحـات العدو في الوادي السحيق. وانتهز الإخوان الفرصة فقاموا يقتلون كل من تظهر رأسه تحت الردم.

وأسفرت المعركة عن قتل عـدد من جنود الأعداء، وأسر عدد آخر من المصفحات، أطلق الإخوان على أكبـرها اسم قائدهم (محمود عبده) وكما أرهب محمود عبده (الضابط) اليهود بخططه وكمائنه، فقد أرهبت محمود عبده (المصفحة) اليهود بعد ذلك حين كانت تشترك عمليًّا في جميع الدوريات الناجحة!

قرر اليوزباشي «محـمود عبده» محاصرة المستـعمرات وإنهاك قوى العـدو بالغـارات المتـواصلة على مـواصـلاته ومراكـزه. وأخـذ يبـعث بالدوريات المسلحة لتـجوب الصحراء وتعـترض طرق القوافل وترغـمها على الفرار تاركة خلفها الكثير من الأسلحة ومعدات الحرب.

*** لبيب الترجمان بطل من الإخوان:**

مستعمرة رامات راحيل وهزيمة منكرة على يد أحمد عبد العزيز ورجاله:

«كان الجـيش العربي الأردني مدينـة «بيت لحم» قبل دخول أحـمد عبـد العزيز، وكـان يتخـذ مقر قـيادته في (مـار الياس) الواقع شـمالي

المدينة، وكان هذا الجيش مشتبكًا مع مستعمرة (رامات راحيل) الواقعة على طريق بيت لحم ـ القدس، غير أنه لم يتمكن من اقتحامها وبقيت (رامات راحيل) كما كانت دائمًا مصدر خطر كبير.

فهي تقع على ربوة عالية، وتتحكم في الطريق الرئيسي الذي يصل بيت لحم بالقدس. فوق أن المدافعين عنها يمكنهم مراقبة القوات الموجودة ببيت لحم وإحصاء حركاتها وسكناتها، لذلك كله نرى أحمد عبد العزيز يتجه إلى اقتحامها منذ أن هبط أرض المدينة.

ولقد بدأ في ٢٤ مايو فأرسل قوة من جنود الإخوان بقيادة (لبيب الترجمان) لتقوم باستكشاف المستعمرة وكتابة تقرير واف عن تحصيناتها، وقامت الدورية بعملها خير قيام ونجحت في التسلل إلى مكان قريب من المستعمرة حيث أخذت تراقب تحصيناتها، ومواقع الدفاع عنها، وظلت في موضعها يومًا كاملاً حتى فطن اليهود لوجودها وأخذوا يطلقون عليها النار من قمم الأبراج، واشتبكت معها الدورية غير أن قائدها أمر بالانسحاب إذ كان هدفه هو «الاستكشاف» فحسب وليس الدخول في معركة مباشرة. وحين وصل إلى بيت لحم عكف على كتابة تقريره وضمنه ما وصل إليه من معلومات عن المستعمرة ونقاط القوة والضعف في الدفاع عنها وقدمه إلى أحمد عبد العزيز الذي جعله أساسًا لخطته المقبلة.

كانت الخطة الجديدة لا تختلف كثيرًا عن الخطة التي اتبعت في (كفار ديروم) إذ تقرر أن تبدأ المدفعية بقصف الحصون والأبراج، ثم يزحف المشاة تحت غلالة من نيران مدفعية (الهاون) وقنابلها الدخانية، ثم

تتقدم جماعات الفدائيين من حملة ألغام (البنجالور) لنسف العوائق السلكية وحقول الألغام.

غير أن هذه الخطة نجحت في احتلال (رامات راحيل) وكان سر نجاحها أن الأرض المحيطة بالمستعمرة كانت جبلية مليئة بالمنحنيات والفجوات، حين كانت الأرض المحيطة بكفار ديروم سهلاً منبسطًا يمتد إلى مسافات شاسعة.

وفي مساء يوم ٢٦ مايو كان كل شيء هادئًا حول مستعمرة (رامات راحيل) وكان جنود (الهاجاناة) فيها ينامون ملء أجفانهم مطمئنين إلى حصونهم القوية، حتى انتصف الليل ـ أو كاد ـ وبدأت أشباح كثيرة تنطلق من مركز رئاسة أحمد عبد العزيز حيث يبتلعها الظلام الكثيف، ثم تلتقي في سكون في مناطق مختلفة في الجبال المحيطة بالمستعمرة، ثم انطلقت إشارة ضوئية زحف بعدها المجاهدون، ثم توقفوا عند نقط معينة تحددت في الخطط المرسومة.

وعندما دقت ساعة الكنيسة الكبيرة دقتين بعد منتصف الليل ارتجت الأرض تحت دوي المدافع، وتمزقت حجب الليل المظلم من وهج القنابل المحرقة التي انقضت كالشهب على المستعمرة الساكنة. ولم تمض إلا دقائق حتى شبت الحرائق في أكشاكها الخشبية وتفجرت حقول الألغام التي لف بها العدو مستعمرته، ثم سكتت المدافع، وأصدر (لبيب الترجمان) أوامره لقوته فبدأت تزحف تحت غلالة كثيفة من قنابل الهاون المتفجرة وقنابل الدخان، وفي لمح البصر اندفع الفدائيون يفجرون ألغامهم تحت الأسلاك الشائكة، ومن ورائهم فصائل الاقتحام تعبر مسرعة لتحتل

الأغراض التي خصصت لها.

وبدأ الاشتباك الرهيب عند الخنادق «والدشم» واستماتت اليهود في الدفاع عن مستعمرتهم، ولم يضيع الإخوان الوقت فتسلل نفر منهم إلى الأبراج العالية يفجرون تحتها الألغام ويحيلونها أنقاضًا وركامًا، وأثرت هذه الانفجارات المفاجئة تأثيرًا سيئًا في نفوس المدافعين عن المستعمرة، وأسقط في أيديهم، فبدءوا يجلون عبر ممراتهم السرية إلى مستعمرة (تل بيوت) على مقربة من القدس الجديدة.

وعكف المجاهدون على الخنادق يتمون تطهيرها وحين كان آخر يهودي يغادر المستعمرة هاربًا، كان صوت المؤذن يتهادى مع النسيم من أعلى قمة فوق أعلى برج ـ اللَّه أكبر.. اللَّه أكبر.. أشهد أن لا إله إلا اللَّه... أشهد أن محمدًا رسول اللَّه.

سقطت المستعمرة أمام هذه الخطة، وأخذ الإخوان يجوسون خلال أبنيتها وأبراجها فرأوا ما أذهلهم من الخيرات والمؤن المكدسة؛ إذ كانت هذه المستعمرة هي مركز التموين الذي يشرف على إمداد المستعمرات الواقعة في جنوبي القدس.

وكان عدد القتلى من اليهود في هذه المعركة كبيرًا للغاية إذ وجدت تحت الردم ما يزيد على المائتين، عدا ما نجح اليهود في أخذه معهم عند انسحابهم، أما خسائر الإخوان فلم تتجاوز تسعة من الشهداء والجرحى وشهيدًا واحدًا من قوة الإخوان الأردنيين، التي كانت ترابط في (صور باهر) بقيادة المجاهد (عبد اللطيف أبو قورة) رئيس الإخوان في عمان.

لم يكن انسحاب اليهود نهائيًّا من المستعمرة إذ كانوا يبيتون النية

لاستردادها وطرد الإخوان منها، فصعدت طائراتهم في اليوم التالي تستكشف الحالة فيها فلم تجد إلا عددًا قليلاً من المجاهدين، وكان الخطأ الذي يؤخذ على قيادة المتطوعين أنها لم تعزز الانتصار الذي أحرزته، ولم توضع الخطة السليمة للمحافظة على المستعمرة، وكان عذر أحمد عبد العزيز في هذا الخطأ أن قوته الصغيرة كانت موزعة في خط طويل يمتد من (العوجة) إلى (بيت لحم)، وأن أسلحته وذخائره كانت قليلة تافهة، ولقد طالب مرارًا بتزويده بالسلاح والذخيرة، غير أن «المواوي» رفض إمداده بها وسبب ذلك ـ كما سمعته من ضباط هذه القوة ـ أن أحمد عبد العزيز تخطى أوامره وتجاوز الحدود التي رسمها له!

وفي اليوم التالي تجمعت قوات يهودية كبيرة من القدس الجديدة ومستعمرات (تل بيوت) و(أرنونة) فطالب الإخوان بتعزيز القوة وإرسال عدد آخر يشترك معهم في الدفاع عن المستعمرة.

لكن القيادة قلبت كفها محتجة بعدم وجود قوات لديها، حتى يوم ٢٨ مايو إذ حسم اليهود المعركة فأغاروا بقوات كبيرة قدرت بخمسة آلاف، تؤيدها المدفعية والعربات المدرعة، واستبسلت القوة الصغيرة من الإخوان في الدفاع على أمل أن تنجدهم القيادة بالقوات اللازمة، وطال بهم الانتظار زمنًا طويلاً دون جدوى فقرروا الانسحاب بعد أن دمروها تدميرًا تامًا، ولم يتركوا فيها بقعة واحدة تصلح للإيواء»[١].

* البطل حسين حجازي «بطل تل بيوت»:

حاصر الإخوان المستعمرة وما حاورها، وتولوا الدفاع عن قرية

---

(١) «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» ص(٩٢ ـ ٩٤).

(صور باهر) العربية. ولقد حدث في أوائل شهر يونيو أن حلقت طائرة يهودية تحمل أسلحة وذخائر. وأرادت إلقائها على (رامات راحيل) وكان الوقت ليلاً، ورأى الإخوان أن المستعمرة تطلق إشارات حمراء لتدل الطائرة على موضعها، فما كان منهم إلا أن أطلقوا إشارات حمراء مشابهة، فاختلط الأمر على الطائرة وألقت حمولتها فوق (صور باهر) وكانت صناديق ضخمة مليئة بأجزاء المدافع وأنواع الرشاشات الحديثة والأدوية الثمينة.

أراد اليهود تعزيز النصر الذي أحرزوه في ختام معركة (رامات راحيل) فأرسلوا قوة من جنودهم هاجمت الجيش العربي الأردني في مقر قيادته في (دير مار إلياس) واضطرته لإخلائه، وكان هذا الدير يقع على مقربة من (صور باهر) حيث ترابط فصائل من الإخوان فوق أن احتلاله باليهود كان يؤثر تأثيراً بعيداً في موقف المرابطة في (بيت لحم)، فلم يجد الإخوان بداً من معاودة احتلاله، وتقدمت قوة منهم بقيادة المجاهد «حسين حجازي» تعاونه قوة فلسطينية من جيش الجهاد المقدس يقودها المجاهد العربي جاد اللّه وهاجمت اليهود على غرة واضطرتهم للانسحاب موقعةً بهم كثيراً من الخسائر.

وكان هذا النجاح حافزاً على القيام بحركة جديدة، ذلك أن مستعمرة (تل بيوت) دأبت على إطلاق النيران من برجها الضخم وتسبب عن ذلك كثير من الخسائر والأضرار مما اضطر أحمد عبد العزيز إلى إصدار أوامره للأخ المجاهد «حسين حجازي» ليتولى تدمير هذا البرج الخطر.

وفي ليلة ٤ يونيو انطلقت جماعة من بيت لحم وأحيط انطلاقهم بتكتم كبير، حتى أن زملاءهم في القوة لم يعلموا حقيقة المهمة التي سيقومون بها، حتى لمعت خاطفة أضاءت صفحة السماء وأعقبها انفجار هائل ارتجت له أركان المدينة، وشاهد الناس أحجار البرج الضخم تتناثر في الهواء، ثم تتهاوى لتصنع من تراكمها قبرًا كبيرًا يضم نخبة كبيرة من رجال الهاجاناة.

ولقد علقت جريدة (أخبار اليوم) في عددها الصادر في ٥ يونيو تصف هذه العملية الجريئة، فقالت بعد كلام طويل: «وفي الليل تسلل (حسين) ومعه أربعة جنود... وزحفوا على الأشواك في صور باهر أربعة كيلو مترات تحت تهديد الرصاص الطائر في الهواء والحيات الزاحفة بين الأحجار.

وقرب الفجر سمعت بيت لحم انفجارًا مدويًا وتهدمت ثلاث حصون من (تل بيوت).

وفي الصباح عاد (حسين حجازي) ليتلقى تهنئة قائده... ومعها لقب بطل (تل بيوت)!»[١].

*** أكبر خطيئة في تاريخ الحروب قبول الجيوش العربية للهدنة ليفلت مائة ألف يهودي محاصرون بالقدس من إبادة محققة:**

«حينما حاصر المجاهدون من مصر وسورية وفلسطين وشرق الأردن مائة ألف يهودي بالقدس وقد طلب اليهود التسليم بدون قيد أو شرط؛

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٩٥ ـ ٩٦).

لأنه قد منع عنهم الطعام والماء الذي كان يصلهم من رأس العين، استغاث اليهود بأبناء أوربا، وتجاوبت معهم اليهودية العالمية وأوربا الصليبية، واستصدروا قرارًا من مجلس الأمن بفرض هدنة مدتها أربع أسابيع بين اليهود والعرب اعتبارًا من ٢٩ مايو ١٩٤٨ يتوقف أثناءها القتال، وكان الهدف من ورائها إنقاذ يهود القدس وغيرهم من هلاك محقق إن لم يتم التسليم، مع تمكين اليهود من جلب مزيد من الأسلحة الثقيلة والذخائر.

وكان على الأنظمة العربية أن لا تقبل بهذه الهدنة، وخاصة أن المجاهدين يمسكون بعنق العدو، ولكن الخيانة كانت تلعب دورها، وكما ذكر أحد المؤرخين، وتحت تهديد توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن[١] قبلت الأنظمة العربية قبول الهدنة ووقف إطلاق النار من جانبها دون قيد أو شرط، وكان ذلك اعترافًا فعليًّا من الأنظمة العربية بقيام الدولة اليهودية.

في ٢٠ من حزيران ١ يونيو في تلك الفترة دخلت فلسطين عدة كتائب منها: كتيبة يقودها الدكتور مصطفى السباعي مراقب الإخوان في سورية، وكتيبة من مصر يقودها محمد الصواف، وكتيبة من الأردن يقودها عبد اللطيف أبو قورة، وفي ٢٣ من حزيران كلّف القائد أحمد عبد العزيز معروف الحضري باحتلال مواقع أمامية في مواجهة اليهود منها (بيه إلياس) وقام باحتلال مواقع أخرى أمامية».

□ وقال وكيل القنصل الأمريكي بالقدس: إن قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الأولى ٢٩ مايو ١٩٤٨، هو وحده الذي خلص

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٤٠٥).

اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية»[١] .

◻ وقال عبد اللَّه التل: «لقد وافق أعضاء اللجنة السياسية بالجامعة العربية على الهدنة بدون قيد أو شرط، وهي أكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي، حيث فك حصار القدس، وأنقذ مائة ألف يهودي كانوا على وشك التسليم»[٢] .

*** اليهود يغتنمون الهدنة ويحتلون العسلوج ويلقنهم جند اللَّه الذين يحبون الموت درساً:**

ولم تقف فائدة الهدنة لليهود عند حدِّ جلب السلاح والعتاد فحسب، ولكنها أيضًا كانت وسيلة لاحتلال المواقع الهامة، إذ إن أغلب المراكز الخطيرة لم تستطع اليهود احتلالها إلا بهجمات غادرة قاموا بها خلال الهدنة، وكانت الحجة دائمًا عند هيئة الأمم وعند حكومة إسرائيل، أن أصحاب هذه الحركات الغادرة ليسوا إلا عصابات فوضوية متطرفة.

وكانت الدول العربية تصدق هذا الزعم، وتشفق على هيبتها وكرامتها أن تجاري عصابات فوضوية، وهي الدول المحترمة ذات المركز والسلطان وعن هذا الطريق الوضيع احتل اليهود أغلب المناطق التي وقعت في أيديهم. ولقد نجح الإخوان في تكبيل المستعمرات اليهودية حول (بئر السبع) عن طريق الدوريات الكثيرة التي كانوا يبعثون بها، وعن طريق المواقع الحاكمة التي احتلوها على طريق المواصلات. فحاول

(١) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٨٩، ٤٠٦)، و«نجم جديد في الشرق الأوسط» لكنيث بلبي ص(٢٥).

(٢) «جهاد شعب فلسطين» ص(٣٨٩).

اليهود اغتنام الـهدنة ـ كعادتهم دائمًا ـ وهاجموا قـرية (العسلوج) حيث كانت ترابط قوة صغيرة يقودها اليوزباشي «عبد المنعم عبد الرؤوف».

ولم تصمد القوة الصغيرة طويلاً، أمام هذا الهجوم المباغت فتسرب أفرادها إلى الصحراء مذعورين، حين رأوا أنفـسهم أمام قوات كبيرة من العدو تؤيدها حشود من المدرعات والمدفعية، ومما يذكر في هذه المعركة، أن ثلاثة من الإخـوان هم المجاهدون رشاد زكي ومـحمـود حامـد ماهر وعبـد اللَّه البتـانوني من إخوان القـاهرة، كان القائد وكل إليـهم مهـمة حراسة مخـازن الذخيرة، وكانت المخازن مليئـة بالأسلحة والذخائر ـ إذ كـانت هذه القـرية هي مسـتـودع الذخـيرة الذي يمون المنـطقة ـ وأفـاق المجاهـدون على أنفسـهم فوجـدوا العدو في داخل المواقع، وسـمعـوه يحاول احتـلال المخازن فأخذوا يتدبرون مـوقفهم. إنها كـارثة كبرى أن يضع العدو يده على هذا السـلاح الكثير في وقت يحتاج فـيه إلى طلقة الذخيرة الواحـدة. لا بد من عمل شيء ما، ولم يدم تفكيرهم كـثيرًا إذ قرروا نسـف المخازن حين يدخلهـا العدو، واخـتبئـوا خلف كومـة من الصناديق حتى امتلأ المخـزن بالجنود اليهود، ثم أشعلوا النار في صناديق المفـرقعـات. وفي لحظة واحدة استحـال البناء الضـخم إلى كومـة من الأنقاض، ومـات الأبطال الثـلاثة بعد أن ثأروا لأنفـسهم وجـرّوا العدو الغادر إلى كارثة مدمرة.

* الجيش المصري يستعين بأبطال الإخوان المسلمين لتحرير العسلوج:

كان احـتلال هذا الموقع يعني قطع مـواصلات الجـيش المصري في الجبهة الشـرقية، مما دعا القيادة العامـة إلى تنظيم خطة لاسترداده، وفي

اليوم التالي تحركت قوة كبيرة من الجيش النظامي تعاونها المدفعية والسيارات المدرعة ولكنها فشلت في الاقتراب من القرية، لاستماتة العدو في الدفاع عنها.

فاستنجدت القيادة العامة بالبكباشي أحمد عبد العزيز الذي وكل الأمر لليوزباشي محمود عبده قائد الإخوان في (صور باهر) ليتولى إرسال قوة من رجاله تسترد هذه المواقع، وأترك وصف النتيجة لسعادة اللواء أحمد محمد علي المواوي (بك) القائد العام للقوات وهي مقتبسة من شهادة أدلى بها بين يدي القضاء في إحدى قضايا الإخوان المسلمين التي عرفت باسم (قضية سيارة الجيب).

وكانت إجابته ردًّا على سؤال وجهه إليه الدفاع في القضية المذكورة:

ـ هل كلفتم المتطوعين بعمل عسكري خاص عند مهاجمتكم العسلوج؟

ـ نعم. العسلوج بلد تقع على الطريق الشرقي واستولى عليها اليهود في أول يوم الهدنة، ولهذا البلد أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد، حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل إليَّ إشارة هامة يقول فيها: (لا بد من استرجاع العسلوج بأي ثمن) فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد هي الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحوم أحمد عبد العزيز بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة، ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

ولما سأله المحامون عن السبب في تغلب القوة الصغيرة أجاب:

ـ القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنوية بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط، المسألة مسألة روح، إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل ما يشاء، ولكن إذا كانت الروح ميتة لا يمكن للضابط أن يعمل شيئًا، لا بد من وجود الروح المعنوية، وهكذا تحررت (عسلوج)، وكان تحريرها على يد قوة من الإخوان بقيادة ضابط ملازم، هو الأخ المجاهد «يحيى عبدالحليم» من إخوان القاهرة.

ورغم هذا النجاح الباهر الذي أحرزه الإخوان، وعظم الخسائر التي مني بها العدو، كانت خسائرها صغيرة جدًّا لا تتجاوز عددًا من الجرحى من بينهم قائد القوة المهاجمة المجاهد يحيى عبد الحليم»[1].

* محمود عبده بطل فذّ للَّه دره:

«بدأ أحمد عبد العزيز خلال الهدنة يجمع قواته المبعثرة ويحشدها في (بيت لحم)، ويبدو أن القيادة العامة المصرية رضخت للأمر الواقع فأمدته ببعض الأسلحة والذخيرة وزودته بعدد من الجنود، فأخذ يحصن نفسه داخل المدينة، وأقام خطًّا دفاعيًّا حولها يمتد من (صور باهر) إلى (كرمزان) مارًّا بقرى (مار إلياس) و(بيت صفافا) و(شرفات) و(الولجا)، وإلى جانب ما أثبته الإخوان من بطولة ومقدرة في الأعمال الهجومية، فإن مقدرتهم على الدفاع والتحصين كانت مثار إعجاب الضباط

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٩٧ ـ ٩٨).

والمراقبين، وكانت مواقع (صور باهر) الحصينة وما أقيم بها من خنادق (ودشم) نحتت ببراعة في الأرض الصخرية الصلبة، تشهد بعظم الجهد الذي بذله الإخوان لتحصين هذه القرية العربية، والاحتفاظ بها حتى آخر مراحل القتال رغم الهجمات المتوالية التي شنها العدو، وحاول فيها احتلالها ليضع القوات المرابطة في بيت لحم والخليل كلها تحت رحمته.

وكانت أولى المحاولات التي قام بها العدو هي إقدامه على محاولة احتلال مرتفعات (جبل المكبر) في ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨.

يقع جبل المكبر إلى الجنوب الشرقي من القدس القديمة، وهو مرتفع منيع يستطيع من يحتله أن يهيمن على القدس كلها، ويقطع الطريق الرئيسي الذي يصلها بعمان، فوق أن يتحكم في القوات المتطوعة التي ترابط في جنوب القدس، وكان هذا المرتفع إحدى حلقات الدفاع التي يتولاها الإخوان المسلمون المرابطون في قرية (صور باهر).

ولقد كان اليهود يؤملون في مهاجمة الإخوان على غرة، فبدأت جموعهم تتحرك في الساعة الثامنة من مساء ١٨ أغسطس من أحياء القدس اليهودية ومن المستعمرات الواقعة في جنوبها، ثم بدءوا يزحفون في سكون وهدوء غير أن نقط المراقبة الأمامية فطنت لهذه الحركة وأرسلت تخبر قائد (صور باهر) بهذا النبأ وتطلب توجيهاته السريعة، وبدأ (محمود عبده) يفكر في الموقف ويضع خطته على أساس الأنباء التي تصل إليه تباعًا، ولم يكن يعنيه وقف الزحف اليهودي والاحتفاظ بالموقع، ولكنه كان يريد إبادة هذه القوات وتلقين اليهود درسًا قاسيًا يحفظونه عن الإخوان وشدتهم في القتال.

وحين بدأ يتحرك بقوته من (صـور باهر) كانت عواصف الرصاص تثور في قمة الجبل وكان التليفون يخبره أن طلائع العدو قد اشتبكت مع مواقع الإخوان الأمامية.

وما أن وصل حتى كانت المعركة في أعنف مراحلها، وكان واضحًا أن العدو يستميت في احتلال هذا الموقع ويقذف كتلاً هائلة من قواته لتحقيق الغرض في أقصر وقت ممكن، وكلما تكسرت موجة تحت أقدام الأبطال المؤمنين تدفقت في أثرها موجة أخرى.

ولا عجب في ذلك فقد كان طريق الإمداد مفتوحًا على مصراعيه، والقدس اليهودية وفيها عشرات الألوف على مرمى حجر من أرض المعركة. فصمم (محمود عبده) على التصرف السريع، وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها أن أمر فصيلة من جنوده فدارت إلى اليمين واقتربت من الطريق الذي يستخدمه العدو في تحركاته وأخذت تطلق النار على القوافل التي تتحرك صوب المعركة، وفي نفس اللحظة كان يصدر أمره للمدافعين عن الجبل بالانسحاب إلى الوراء فظن العدو أن المقاومة قد انتهت، فتقدم ليحتل المواقع التي أخلاها المجاهدون وفي نفس الوقت كانت أفواه المدافع تنفتح من كل صوب وتقذف كتلاً من اللهب على قمة الجبل، ولم يكن لليهود ما يحتمون فيه، فقتل منهم عدد كبير، فبدءوا يتراجعون في ذعر وارتباك.

تقدمت بعد ذلك قوات من المشاة وحاصرت قمة الجبل، واشتبكت مع العدو في قتال عنيف، وحاول اليهود التراجع إلى القدس بعدما يئسوا من وصول النجدات المطلوبة، ولكن القوة الخلفية فاجأتهم بالنيران

الحامية. وبينما كانت المعركة تسير على هذا النحو المرسوم إذ أصيب اليوزباشي (محمود عبده) بطلقات طائشة فحمله مرافقوه للخلف دون أن يفطن أحد، وبعثوا برسالة مستعجلة لقيادة بيت لحم يخبرونها فيها بإصابة القائد، ولم تمض إلا لحظات حتى جاء الأخ المجاهد (لبيب الترجمان) ليتولى قيادة المعركة في مرحلتها الختامية»[1].

* البطل أحمد عبد العزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية يفاوض بعزة المسلم وفطنته:

أخذ اليهود يتسللون فرادى إلى المنطقة الحرام ودار الحكومة حيث يوجد بعض مراقبي الهدنة ورجال هيئة الأمم وفطن الإخوان للأمر فتابعوهم إلى هناك، وضربوا حصارًا محكمًا حول دار الحكومة وهددوا بتدميرهم، مما اضطر رجال هيئة الأمم إلى الاستغاثة بالبكباشي (أحمد عبد العزيز) الذي جاء لتوه، واستجاب لرغبة مراقبي الهدنة بوقف إطلاق النار، ولكنه أصر على احتلال مرتفع يدعى (رأس الأحرش) يشرف على دار الحكومة والحي اليهودي بالقدس. وبذلك أصبح الإخوان خطرًا شديدًا يهدد القدس الجديدة واتخذوا من هذا الموقع نقطة يراقبون منها حركات اليهود وسكناتهم.

وحاول اليهود في اليوم التالي القيام بهجوم كبير على نفس هذه المواقع أملاً في احتلالها ورد اعتبارهم بعد هزيمة الأمس، ولكن يقظة الإخوان واستماتتهم في الدفاع وقفت سدًّا منيعًا دون وصولهم لهذه الغاية، مما اضطرهم إلى التراجع في ذلة وانكسار؛ وكانت خسائرهم في

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٩٨ ـ ١٠٠).

هذه المرحلة تتجاوز المائتين حسب تقدير مراقبي الهدنة عدا فقدانهم لجميع الأسلحة والمعدات التي دفعوا بها في هذه المعارك.

بدأت بعد هذه الفترة مرحلة مفاوضات طويلة لتخطيط حدود المنطقة الحرام، وكان أحمد عبد العزيز فخوراً بجنود الإخوان وبما أحرزوه من انتصار رائع، مما جعله يملي إرادته على اليهود ويضطرهم للتخلي عن منطقة واسعة مهدداً باحتلالها بالقوة، وكانت المفاوضات تدور في مقر قيادة الجيش العربي بالقدس ويحضرها الكولونيل (عبد اللَّه التل) القائد العربي في المدينة المقدسة»[1].

* وسقط البطل أحمد عبد العزيز أبرز شخصية عسكرية أنجبتها المعارك على ثرى فلسطين:

وحين انتهت المفاوضات في ليلة ٢٢ أغسطس أراد أحمد عبدالعزيز أن يحمل نتائجها إلى القيادة المصرية العامة في (المجدل) وأصر على أن يذهب في ليلته، وكانت المعارك في ذلك الحين تدور بشدة على الطريق المؤدي للمجدل مما جعل ضباطه يلحون عليه في التريث وعدم الذهاب، ولكنه قطع هذه المحاولات حين قفز إلى سيارته (الجيب) وهو يردِّد: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ وانطلقت السيارة في طريق المجدل، ولم يكن معه إلا اليوزباشي (الورداني) واليوزباشي (صلاح سالم) من ضباط رئاسة المواوي، وسائق سيارته.

وكانت «عراق المنشية» في ذلك الحين تستهدف لهجمات متواصلة

(١)«الإخوان المسلمون» ص(١٠٠).

مما دعا القيادة العامة إلى منع السير على هذا الطريق بالليل.

وما أن وصلت السيارة إلى مواقع عـراق المنشية حتى صاح الحارس يأمـر السيـارة القادمـة بالوقوف، ولكن سـوء الحظ تدخل هذه المرة، إذ ضاع صـوت الحارس في ضجـيج السيـارة فأطلقت نقطة المراقـبة النار، وتدخل سوء الحظ مرة أخرى حين أصابت أول رصاصة البكباشي (أحمد عبد العزيز) في جنبه، وحمله مرافقوه إلى عيادة طبيب بمدينة (الفالوجا) ولكن قضاء اللَّه سبقهم إليه، فصعدت روحه إلى بارئها.

ولم يكد الخبـر يذاع على الناس حتى عم الوجوم الجـميع، وبكاه كل فرد في الجيش، وكان أكثر الناس حزنًا عليه وألمًا لفراقه أولئك الجنود الذين زاملوه في الميـدان وقاسمـوه مرارة الهزيمة ونشـوة النصر، ونعـته وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة العالمـية وأسف لفقده الحلفاء والأعداء، ونعوه للناس بمزيد الإعجاب والإكبـار، وبموت أحمد عبد العزيز طويت صفـحة من أمجـد صفحـاتنا العسكرية، وأفل نجم لامع كـان في سمع الناس وبصرهم، وخلا بذلك مكانه في الميدان، وصعدت روحه الطاهرة لتحـتل مكانًا مـرموقًا في ملـكوت اللَّه وجنته ورفع اسـمه من كـشوف الجيش المصري ليحفظ في سجل التاريخ، كأبرز شـخصية عسكرية أنجبته حرب فلسطين.

* كيف قتل الشهيد البطل أحمد عبد العزيز فخر العسكرية المصرية والجيش المصري؟

نشـــرت الأهرام بعـددهـا الصـادر يوم ٢٢ مـن إبريل ١٩٨٤ في صفحتها الخامسة مقالاً للضابط محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجـمهورية توضيـحًا لمقـتل البطل أحمـد عبد العـزيز الذي سبق

الحديث عنه في هذا الكتاب، فقال تحت عنوان: «إخلاء الأرض من أقوى عناصر في مواجهة اليهود»:

«استدعت القيادة المصرية بأوامر من القاهرة البطل أحمد عبدالعزيز ليترك الجبهة التي كان يسيطر عليها تمامًا بقواته لينزل إلى القاهرة عبر قيادة القوات المصرية في المجدل للقاء هام مع القيادة السياسية في مصر، ومع الملك فاروق نفسه كما قيل. وكان أحمد عبد العزيز في حالة من الغضب لما يجري من تواطؤ في هذه الحرب لصالح إسرائيل، ونزل في ذلك اليوم المشهود في سيارة جيب يقودها الصاغ صلاح سالم (الرائد) حاليًا بجواره، ومن خلفهما الجندي السائق. وأثناء دخول أحمد عبدالعزيز إلى مواقع الكتيبة السادسة مشاة في عراق المنشية والتي كان جمال عبد الناصر أركان حربها، قُتِلَ أحمد عبد العزيز في سيارته برصاصة أصابته وحده. ووصل إلى المجدل حيث فارق الحياة، ولم يتم لقاؤه بالقيادة السياسية في مصر. واختفى عن مسرح العمليات العسكرية التي كان يعمل لها موسى ديان ألف حساب، ويخشاها أكثر من خشيته لكل القوات العربية المقاتلة في فلسطين عام ١٩٤٨م. فهل كان استدعاؤه مصادفة؟ أو إبعداه عن ميدان القتال مصادفة؟ ثم استشهاده على هذا الحال ـ ألم يكن هذا كله حلقة من حلقات حرب».

يقول الأستاذ حسن الجمل في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين»: تحت عنوان «كلام خطير»: «خطب فينا القائد: أحمد عبد العزيز في أحد الأيام قائلاً: «أنتم خير شباب مصر وخير رجالها، ولا بد من تحرير البلاد الإسلامية من كل أجنبي».

وكان يوجد أحد رجالات المخابرات المصرية. . .».

* لله درّهم.. صفحات من جهادهم:

«مات أحمد عبد العزيز فعينت القيادة العامة ضابطًا جديدًا لقيادة (بيت لحم) هو البكباشي «محمد فكري» من سلاح المدفعية، لكنه عاد بعد أيام قلائل، حين لم يستطع التفاهم مع ضباط المتطوعين، فرأت القيادة أن تبعث البكباشي «عبد الجواد طبالة» قائد كتيبة المتطوعين الثانية. والتي كانت تتولى محاصرة المستعمرات وحراسة بعض النقط على خطوط المواصلات.

ولقد أتمت هذه الكتيبة تدريبها في معسكر (الهايكستب) بعد سفر الكتيبة الأولى، وكانت هذه الكتيبة تحوي عناصر طيبة من الإخوان كان على رأسهم الأخ المجاهد (صلاح البنا) الذي كان له أبعد الأثر في تنظيمها وتدريبها، وكان مقررًا لهذه الكتيبة أن تحتل مدينة (بئر السبع) وتدافع عنها غير أن قائدها أشار باستحالة تنفيذ ذلك، لنقص مرتبها في الأسلحة، وخلوها تمامًا من مدفعية الميدان والمدفعية المضادة للدبابات وأخيرًا استقر الرأي على أن تحاصر بعض المستعمرات الواقعة في منطقة غزة ـ رفح فأبلت في القيام بهذا الدور أحسن البلاء.

وظلت على هذا الوضع حتى موت أحمد عبد العزيز وحين استدعت الحالة ذهاب قائدها لتولي القيادة في (بيت لحم) تقرر انتقالها للانضمام لزميلتها (الأولى)، وتكونت من الكتيبتين وممن انضم إليهما من جماعات المناضلين والسودانيين والليبيين القوة التي عرفت باسم (القوة الخفيفة) والتي كان لها الفضل في المحافظة على منطقة الخليل وبيت لحم

وتسليمها لقوات شرق الأردن بعد نهاية الحرب وإعلان الهدنة.

وصل القائد الجديد وافتتح نشاطه بالمرور على خطوط الدفاع. وكانت الحالة في المنطقة هادئة نسبيًّا إلى أن نقض اليهود الهدنة بعد أيام قلائل فاحتلوا منزلاً قريبًا يقع في الشقة الحرام واتخذوا منه وكرًا خطيرًا لقناصة يستعيضون به عن البرج الذي نسفه الإخوان في (تل بيوت). وأخذوا يطلقون منه النار على المجاهدين في مواقعهم، وحاولوا اقتناص قائد المنطقة نفسه حين كان يحاول الوصول إلى دار الحكومة للاجتماع بمراقبي الهدنة، وكانت الأنباء تشير إلى أن لجنة من كبار ضباط الجيش الإسرائيلي قد نزلت في هذا البناء واتخذته مقرًّا تشرف منه على جبهات المتطوعين وتضع خطة لمعارك شاملة تكتسح فيها هذه القوات.

لم يكن هناك بدٌّ من تدمير هذا البناء فصدرت الأوامر لقائد الإخوان في (صور باهر) ليتولى تنظيم هذه الخطة وتنفيذها، وفي ليلة حالكة الظلام تسللت جماعة من الإخوان تحمل ألغامها وأسلحتها ووجهتها هذا المنزل المقام بين ثلاثة مستعمرات من أخطر مستعمرات اليهود واستمروا يزحفون على بطونهم وقتًا طويلاً حتى اقتربوا منه، وبينما كانوا يعالجون فتح الباب الخارجي انتبه اليهود للحركة، فأخذوا يطلقون عليهم النار من أعلى المنزل ومن (الدشم) المسلحة المقامة حوله، وبادلهم الإخوان الضرب، غير أن شدة النيران المنبعثة من المنزل وخشية الإخوان من المستعمرات القريبة، جعلتهم يلقون ألغامهم بعيدًا عن البناء ويشعلونها، وحين انفجرت أحدثت دويًّا هائلاً، غير أن البناء ظل قائمًا كما كان! وجرح في هذه الحركة الأخ (عثمان عبد المجيد)، وحمله رفاقه

معهم إلى معسكرهم في (صور باهر). وثار قائد (صور باهر) على هذا الفشل، وأصر على تدمير البناء، وفي اليوم التالي تحركت قوة كبيرة مكونة من بعض الإخوان السوريين، وعدد من مجاهدي الإخوان الأردنيين، وقد اشتبكت هذه القوة في معركة مع حماة البناء، غير أنها نجحت في الوصول إلى المنزل وتدميره على جميع من فيه من الضباط والجنود ،وأترك للبكباشي (طبالة) قائد القوة الخفيفة الكلام عن هذه العملية الجريئة في مقال نشرته له إحدى المجلات العسكرية تحت عنوان (ولاء في بطولة):

«عالج قائد الدورية الباب معتمدًا على أن صوت الرصاص يعلو صوت معالجة الباب، ولكن الباب لم يفتح فهو موصد من الداخل، وإذا بالقائد يضغط بسبابة يمناه (تنك) سلاحه فيطير قفل الباب ويفتح على مصراعيه، وفي لحظات أشعل الآخرون العبوات وألقوا بها داخل الدار وارتد الجميع للخلف قليلاً ورقدوا إلى أن صم آذانهم صوت انفجار هائل تطاير على أثره الغبار في كل مكان.

وإن هي إلا غمضة عين فتسمع أنة موجعة صادرة من أحدهم فهرع إليه القائد فوجد الدم ينزف من جرح في رأسه. فحمله بمعاونة زملائه وهرعوا عائدين وكل منهم يتلفت للخلف ليروا أثر ما عملوا فلا يروا إلا غبارًا يعلو الأرض، إلى أن وصلوا حوالي الرابعة صباحًا إلى رئاسة القطاع، وبين يديهم زميلهم الجريح يحتضر لكثرة ما نزف من الدماء، ولم تجد معه الإسعافات فلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يتساءل عما حل بالمنزل فلما علم بتدميره تمامًا لفظ النفس الأخير والارتياح التام باد على أساريره.

وفي الصباح الباكر كان قائد الفدائيين يستقبل ضوء الشمس في مواقع (صور باهر) ويترحم على الشهيد البطل ويودعه إلى مثواه الأخير، ثم عاد ليلقي نظرة على موقع المنزل فإذا هو حطام يضم بين أحجاره جثث عشرين من اليهود الغادرين، حاولوا الاعتداء عليه في الصباح فحكم عليهم جنوده (أن لا يروا ضوء صباح تال). أما شهيدنا المبرور في هذه المعركة فهو المجاهد «ضيف اللّه» من الإخوان المسلمين السوريين. وفي المساء كانت محطة إسرائيل تذيع نبأ المعركة وتنعي إلى اليهود مقتل ضابط إسرائيلي برتبة كبيرة ومعه عدد من ضباط الجيش وجنوده. ماتوا تحت الردم على مقربة من مواقع الإخوان المسلمين في (صور باهر).

في منتصف شهر أكتوبر كانت الجبهة المصرية مسرحًا لعمليات واسعة النطاق، وكانت منطقة (الفالوجا) في ذلك الوقت تهاجم بعنف وشدة، والمجدل عُرضة لغارات جوية مروعة، وفي ذلك الوقت أيضًا كانت القيادة الإسرائيلية في القدس تحاول تصفية حسابها مع قوات المتطوعين في (بيت لحم) وبدأت أعمالها بهجوم حاد على (صور باهر) غير أن هجماتها المتكررة تكسرت تحت تحصينات الإخوان القوية.

فأخذت تدور حول خطوط الدفاع تتلمس أضعف النقط فيها حتى نجحت يوم ١٩ أكتوبر في اقتحام مرتفع شاهق يعرف بتبة (اليمن)، ولم يضيع اليهود الفرص فأخذوا يحشدون قوات كبيرة ويعدون أنفسهم للوثوب على المرتفعات المجاورة والسيطرة على بيت لحم، مما اضطر قيادة (صور باهر) إلى إرسال قوة كبيرة لتقوم بهجوم مضاد تستعيد به هذا

المرتفع. وبدأت المعركة بين الفريقين حامية شديدة، وكان مما يستلفت النظر ويدعو للإعجاب هو براعة اليهود وسرعتهم الفائقة في أعمال التحصين، لا تكاد قواتهم تستقر في موقع من المواقع إلا وتسارع بتحويله إلى قلعة محصنة.

وكان ذلك مما يساعدهم دائمًا على الاحتفاظ بالمواقع التي تسقط في أيديهم، ويبدو أن هذه الظاهرة ناتجة عما عرف عن المقاتل اليهودي من جبن وضعف، فهو يستعيض عن الشجاعة الأصلية بتحصينات مصطنعة ولا يقوى على مواجهة خصمه في الدفاع إلا إذا كان مختفيًا خلف أطباق كثيفة من (الدشم) والأسلاك الشائكة.

نجح الإخوان في الهجوم الذي شنوه وتراجع اليهود بعد مقاومة شديدة وخسائر من الطرفين، وكان يضاعف من هذا النجاح أهمية الموقع وخطورته الشديدة لو بقي في يد اليهود، وهأنذا أنقل نص إشارة رسمية بعثتها قيادة (بيت لحم) إلى الجهات العسكرية المسئولة بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٤٩.

(قام العدو بهجوم عنيف على جميع مواقعنا الدفاعية تحت ستار غلالة شديدة من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية والهاونات وقاذفات الألغام والمدفعية الثقيلة، صدت قواتنا الهجوم، تمكن العدو من الاستيلاء على مواقعنا بجبل (اليمن)، قامت قوة من الإخوان المسلمين بقيادة الملازم أول خالد فوزي بهجوم مضاد فطردت العدو بعد أن كبدته خسائر فادحة، (خسائرنا ضعيفة، وقد أبلغنا مراقبي الهدنة).

وقد علقت أغلب الجرائد العربية واليهودية على هذه المعركة

وذكرت جهود الإخوان فيها بالإكبار والإعجاب، وكتبت جريدة (الناس) العراقية في عددها الصادر يوم ٧/ ١١ مقالاً تحت عنوان (بسالة متطوعة الإخوان المسلمين) جاء فيه (... وإن اليومين الماضيين امتازا ببسالة منقطعة النظير من متطوعة الإخوان المسلمين فقد استولى اليهود شمالي غربي بيت لحم بعد محاولات عديدةعلى جبل مرتفع يسمى (تبة اليمن) ويشرف على قرى (الولجة) و(عين كارم) و(المحالة) وما جاورها وأصبحوا يهددون كل المناطق المحيطة بها.

ورأت قيادة الجيش المصري ضرورة تطهيرها فندبت لذلك عددًا من متطوعة الإخوان المسلمين في (صور باهر)، فتقدمت سرية منهم، ولم تمر ساعة حتى كانت هذه الفرقة قد أجهزت على القوة اليهودية وغنمت ذخيرتها ومتاعها وحررت قرية (الولجة) وأصبحت تسيطر على منطقة واسعة، وقد أصدرت قيادة الجيش المصري أمرًا بتسمية الجبل (تبة الإخوان المسلمين) وقد استشهد من الإخوان كل من مكاوي سليم علي من الزقازيق والسيد محمد قارون من المنصورة وإبراهيم عبد الجواد من الفيوم، رحمهم اللَّه رحمة واسعة»[1] .

* غدر يهودي أثناء الهدنة الأولى، وتأديب الإخوان لليهود:

«ولا ينسى التاريخ يوم هاجم اليهود أحد مضارب البدو الآمنة وأضرموا فيها النيران بعد أن قتلوا كثيرًا من رجالها، وسبب المذبحة التي أوقعها اليهود بهم أنهم يتعاونون مع الإخوان (المجرمين) على حَدِّ تعبيرهم!

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٠١ ـ ١٠٥).

ولقد اضطر الإخوان لمجابهة العدوان بمثله حتى يأمن البدو على أنفسهم، ويظلوا على ولائهم لإخوانهم لذلك قرروا إيقاع مذبحة مشابهة باليهود، وتسللت قوة من الإخوان في جوف الليل إلى إحدى المناطق الداخلية المتوغلة في أرض يعتبرها اليهود حرمهم الخاص، وهناك على طريق السيارات بثوا حقلاً من الألغام وانفلتوا من إحدى الوديان المجاورة ينتظرون مقدم الصيد وجاءت قافلة كبيرة عند الفجر، فلم تكد تمس الألغام حتى انفجرت وتطايرت أجزاء السيارات في الفضاء وظل الإخوان في مكمنهم حتى انجلي دخان الألغام وقام من نجا من اليهود فأخذوا يطلقون عليهم النار حتى مات من مات وفر من فر، ثم جمعوا القتلى وكدسوهم كومة واحدة، بعد أن أخذوا ما وجدوه من سلاح وعتاد ولم ينس الإخوان أن يتركوا منشورًا كتب فيه أن الحادث بمثابة رد لما ارتكبته العصابات الصهيونية ضد العرب الآمنين»[1] .

ولقد سمع القائد العام بهذه العملية الجرئية فأبدى رغبته في رؤية بعض الأسلحة التي غنمها الإخوان، وأعجب كثيرًا من شاهده منها خاصة أحد مدافع «المورتر» المصنوعة حديثًا في بلجيكا، وكانت هذه واحدة من عشرات المعارك التي قام بها الإخوان وسببت ارتباكًا عنيفًا لليهود، وأكسبت الإخوان خبرة لا تجارى في وسائل حرب العصابات الحديثة.



(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١٢).

* جهود الإخوان في إرباك مستعمرات النقب:

يقول مؤرخ حرب ٤٨م وقائد قوات الإخوان الحرة «كامل الشريف»:

«كانت مهمة الإخوان في ذلك الوقت تتلخص في إرباك مستعمرات النقب، وإشغالها في الدفاع عن نفسها أمام هجماتهم المتكررة، حتى لا تفكر في الانقضاض على مؤخرة الجيش وهو مشغول بمعاركه الأمامية في مناطق أسدود والمجدل والفالوجا، فمرت بالإخوان في ذلك الوقت فترة من أنشط الفترات، وبلغت المعارك بينهم وبين اليهود إلى عنفوان شدتها، ولم يكن يمر يوم واحد حتى تنشب الاشتباكات الدامية في مناطق مختلفة من الصحراء، والإخوان في كل ذلك غير مقيدين مطلقًا بما جد من أساليب الخداع والتثبيط كقرارات الهدنة، ووقف القتال. بل لا أكون مبالغًا إذا قلت: إن الإخوان كانوا يعملون في فترات الهدنة أكثر مما يعملون في أوقات القتال، حتى وقع منهم في ذلك الحين كثير من الجرحى وعدد من الشهداء»[1].

* اشتراك الإخوان مع الجيش المصري في معركة «بيرون إسحاق»:

«ولم تكن جهود الإخوان مقصورة على مهاجمة القوافل ومحاصرة المستعمرات بل كانوا يشتركون مع الجيش المصري في عملياته الهجومية، ولأضرب مثلاً على ذلك بمعركة «بيرون إسحاق» إذ قرر الجيش اقتحامها ووضع خطة محكمة لذلك.

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١١).

وكان كل ما تخشاه قيادة الجيش أن تتدخل المستعمرات الجنوبية في المعركة فطلب إليَّ البكباشي «عبدالجواد طبالة» أركان حرب المنطقة في ذلك الحين أن يقوم الإخوان بقطع الطرق التي تصل هذه المنطقة ومنع اليهود من دخول المعركة عن هذه الطريق، فعهدت إلى الأخوين «نجيب جويفل» و«محمد علي سليم» للقيام بهذه المهمة فخرجا بفصائلهما ورابطوا على نقاط متقاربة على الطريق، وحين بدأت المعركة واشتد الضغط على حامية «بيرون إسحاق» بعثت تطلب المزيد من القوات، واستجابت لها القيادة اليهودية، وما هي إلا برهة يسيرة حتى امتلأ الطريق بالمصفحات القادمة من مستعمرات النقب الجنوبية، ونشبت معركة شديدة بين الإخوان، وهذا العدد الهائل من المصفحات، وحاول اليهود التخلص من هذا الحصار والوصول إلى ميدان المعركة، ولكن قوة النيران الموجهة إليهم من الأسلحة الأوتوماتيكية ومدافع الهاون «البيات»، وحقول الألغام التي بثت في طريقهم، أقنعهم بأن طريق العودة هي أسلم طريق فبدأوا يتراجعون تاركين حامية «بيرون إسحاق» تعاني وحدها شدة المعركة وتستغيث بقيادتها ولا مغيث!»[١] .

* **معركة دير سنيد** «ياد مردخاي» في ١٩ مايو سنة ١٩٤٨م:

«مع انشغال الإخوان المسلمين بالأعمال الفدائية على طول الجبهة الجنوبية ـ كما أسلفنا ـ فإن قيادة الجيش كانت تستدعيهم في كثير من الأحيان للاشتراك في الأعمال الهجومية على المستعمرات أو في أعمال

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١١ ـ ١١٢).

الدفاع أمام الهجمات اليهودية الكبيرة على الجبهة المصرية، وفي مرات كثيرة كان وجودهم على ساحة المعركة هو العامل الحاسم بين النصر والهزيمة. ولنضرب مثلاً على هذا النوع من العمليات التعرضية في الهجوم الذي وقع على مستعمرة دير سنيد «ياد مردخاي» في ١٩ مايو ١٩٤٨م وهي إحدى المستعمرات اليهودية القليلة التي سقطت بيد الجيش المصري وهي تستحق بسبب ذلك شيئًا من التفصيل.

كانت مستعمرة «ياد مردخاي» شأن المستعمرات اليهودية الأخرى تحتل نقطة حاكمة بالنسبة للمناطق العربية المجاورة لها، غير أن هذه المستعمرة كانت تقوم على الطريق الساحلي الرئيسي للجيش في قطاع غزة ـ المجدل، ولم يكن بالإمكان تجاهلها أو الاكتفاء بحصارها كما حدث بالنسبة «لكفار ديروم» أو «نيريم» وغيرها من مستعمرات النقب.

كانت أول تجربة شخصية لي مع «ياد مردخاي» أن أحمد عبدالعزيز طلب مني في منتصف إبريل أن أصحب قوة من المتطوعين الليبيين والسودانيين لتحتل موقع «عراق المنشية» في الشمال نظرًا لأننا كنا أسبق منه في المنطقة وأدرى بأوضاعها وظروفها، وكانت تلك القوة تتحرك في سيارات «أتوبيس» عادية مما يعرضها لأخطار كبيرة فيما لو علم العدو بتحركها وفكر في إقامة كمين لها، وقد أخذت إحدى مصفحاتنا لتكون في مقدمة طابور «الأوتوبيسات» بينما ركبت مع «محمود عبده» في سيارة الجيب القديمة التي أخذناها من اليهود في مناسبة سابقة، وكان أكثر ما يخيفني هو المرور بهذه القوة المكشوفة من مستعمرة «ياد مردخاي» التي تقوم على جانبي الطريق الرئيسي وترتفع أبراجها ومواقها

المحصنة على قمم التلال المشرفة.

كانت الشمس تميل للغروب حين وصلنا إلى آخر منخفض يشرف على المستعمرة، وهناك أوقفت الركب واندفعت وحدي بسيارة الجيب للاستكشاف، وهناك وجدت عددًا كبيرًا من اليهود خارج المستعمرة يعملون في المزارع المجاورة، وكانت هذه فرصتنا الذهبية للمرور دون اشتباك.

كانت الخطة ببساطة أن تقترب مصفحتنا الوحيدة لتقف وسط اليهود العزل وتصوب رشاشاتها عليهم بينما تواصل بقية السيارات المرور، كان عنصر المغامرة في هذه اللعبة هو أن اليهود لن يجرؤوا على إطلاق النار على سياراتنا مخافة أن نحصد رجالهم في الحقول فيتركوننا نمر بسلام، ولا أدري كيف كان يفكر قائد المستعمرة أمام هذه المفاجأة، وهل انتهى لمثل ما انتهينا إليه من استنتاج؟ ولكن المهم أن طلقة واحدة لم تطلق من المستعمرة على قوتنا الصغيرة، وانطلقنا في سياراتنا منتهزين فرصة الارتباك الذي وقع فيه المزارعون، وحين أنهينا مهمتنا في «عرق المنشية» في منتصف الليل وقفلنا راجعين بمصفحتنا وسيارتنا الجيب أخذت المخاوف تعود على رأسي أعنف مما كانت، إذ كيف سنعبر هذا الطريق المخيف مرة أخرى، ولن ينفعنا تكرار نفس اللعبة، كما أن من المرجح أن اليهود قد دخلوا الآن إلى حصونهم المسلحة وسيكون في قدرتهم أن يحصدوننا حصدًا دون أن نتمكن من رؤيتهم فضلاً عن مقاومتهم في هذا الظلام الكثيف، وبينما كنت أفكر على هذا النحو وسائق السيارة الجيب ينطلق بأقصى سرعته في اتجاه المستعمرة وأنوار مصفحتنا تتبعنا كظلنا من

قريب برزت من الظلام أشباح تستوقفنا وتصيح بانفعال ظاهر، وحين وقفنا عرفنا فيهم بعض أصدقائنا البدو من سكان المناطق المجاورة للمستعمرة.

قال أحدهم وقد حياني باسمي: «يبدو أن اليهود يدركون أنكم عائدون الليلة، ولذلك فقد وضعوا ألغامًا على الطريق كما أن قوة صغيرة من رجالهم تقف الآن بين الأشجار في انتظاركم»، وحين أخذنا نتدبر أمرنا قال آخر: «إني أعرف طريقًا رمليًّا يدور حول المستعمرة وينتهي بكم إلى آخرها من جهة الجنوب، وهو ليس ممهدًا، ولكن لا بأس من تجربته فإن الغوص في الرمال أحسن من الموت المحقق على كل حال»، ولم يكن لدينا خيار في الموقف فقررنا أن نأخذ الطريق الرملي الطويل.

كان الطريق وعرًا مليئًا بالحفر والصخور، وكان دليلنا البدوي يسير على مهل أمامنا ليجنبنا النزول في المنحدرات الوعرة ونحن نسير خلفه بدون ضوء، ولقد اكتشفت أن طريقنا الجديد يقترب جدًّا من مستعمرة يهودية أخرى حتى ليكاد يلامس أسلاكها، وكان عنصر المقامرة هذه المرة أن المستعمرة الأخرى تكون نائمة، ولا تنتظر قدوم أحد، وهناك احتمال معقول أننا سنمر بسلام.

لقد استغرقنا ساعات قبل أن نكمل الدائرة الواسعة ونرى أضواء «ياد مردخاي» تظهر أمامنا من الجهة الجنوبية مرة أخرى، وشعرت بزهو الانتصار بعد هذه المغامرة الخطرة، وفجأة وجدت نفسي وسط شبكة من النيران المتقاطعة تتخللها انفجارات قنابل المدافع المضادة للمصفحات،

وفي لمح البصر أدركت الحقيقة المخيفة وصحت على غير إرادة: «لقد وقعنا في كمين»؟ وفي اللحظات التالية برزت أمامنا ثلاثة مصفحات يهودية كأنها قطع من الظلام المحيط بنا ولا يحدد ملامحها سوى خياط النار المنبعثة من فوهات المدافع، وفي نفس الوقت أخذت مصفحاتنا تطلق مدافع «البازوكا» ورشاش الفيكرز على الوحوش المتقدمة من الجانبين، ولكن وضح أننا نخوض معركة خاسرة وأن النجاة منها بأرواحنا هي قمة الانتصار، وفي تلك اللحظة صرخ سائق سيارتي ووقع من مقعد القيادة إلى الأرض يتخبط في دمه ولم أره بعد ذلك حتى الآن، وبقيت و«محمود عبده» في المقعد الخلفي بضع لحظات وخيوط الرصاص المتناثرة من حولنا في الهواء، ولقد حاولت أن أقود السيارة وأواصل التقدم ولكنها لم تتحرك إلا خطوات قليلة حين اخترق «المتور» دفعة من الرصاص فتوقفت تمامًا عن الحركة.

وعندما قفزت وزميلي إلى الأرض وأخذنا نزحف على بطوننا تحت وابل من الرصاص الطائش كانت مصفحاتنا لا تزال مشتبكة مع المصفحات المعادية الثلاث، وحين ابتعدنا بضع يردات عن مكان السيارة الجيب المحطمة شعرنا أننا أصبحنا في مأمن؛ لأن نيران العدو لم تعد مسددة علينا، وأصبح بإمكاننا أن نسير بصورة عادية، ونحن نستتر بالأشجار الكثيرة المتناثرة في تلك المنطقة، وحين شعرنا أكثر بالأمن بدأنا نقلق على إخواننا الآخرين والمصفحة، ولكنني كنت أحس باطمئنان داخلي؛ لأن هؤلاء الرجال قد وقعوا مرارًا في كمائن يهودية ربما أشد إحكامًا من هذا الكمين ومع ذلك فقد أسعفتهم الشجاعة والمران من

الخروج منـها، وقد أصـاب حدسي مـرة أخرى حين التـقينا معـهم في الصباح التـالي عند مدخل قرية «دير سنيد» العـربية، وكانوا جمـيعًا في أحسن حـال فيـما عـدا سائق السيـارة الجيب الذي سـقط في اللحظات الأولى للمعركة.

لقـد أبلغنا تجربتنا تلك مع «يـاد مردخاي» إلـى أحمد عـبدالعـزيز وأبلغناه عن خطر تلك المستـعمرة وما تمثله من تهـديد لأي تحركات على خط ـ غزة المجـدل ـ وطلبنا منه أن يكتب للقيـادة العامة للجـيش لتضع هذا الأمر في تقديراتها للموقف.

لقد كان على الجيش المصري أن يواجـه ما واجهناه قبل شهور حين دخل فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨م، وحين اجتازت كتائبه مدينة غزة في زحفـها شـمالاً إلى أسـدود كان عليـها أن تصطدم هذه المرة اصطـدامًا حاسمًـا مع المستعمرة، ولقد قـدر لوحدة من رجالنا ولي شـخـصـيًّـا أن نشترك في هذه المعركة الهامة.

الواقع أن العـمليات ضد «يـاد مردخاي» بدأت يوم ١٦ مـايو حين طلبت منا القيادة ـ كـالمعتاد أن نقطع خطوط مواصلات المستـعمرة لنمنع وصول النـجدات من المسـتعمـرات المجاورة وتحكم علـى قوة الهجـاناة المحدودة أن توجه ثقل الجيش المصري وحدها، وفي نفس الوقت تحركت مدافع الميدان لتحتـل مواقع قريبة من المستعمرة، غيـر أن الهجوم الفعلي لم يبدأ إلا عـصر يوم ١٩ حين أخذت المدفعـية تركز نيرانهـا على موقع المراقبة الأمامي القائم بجنوب المستـعمرة حتى دمرت أجزاؤه البارزة على سطح الأرض تدميرًا تامًّا، ثم حاولت المشاة اقتحامه، ولكنهم فوجئوا

بنيران شديدة من الرشاشات مما اضطرهم إلى تأجيل الهجوم الحاسم.

وفي صباح اليوم التالي واصلت المدفعية ضرب المستعمرة بما فيها الموقع المذكور، وفي هذه المرة نجح جنود الجيش في اقتحام الموقع بعد معركة ضارية استخدمت فيها القنابل اليدوية والسلاح الأبيض، وأظهر جنود الجيش ضروبًا من الفدائية والاستبسال.

كانت قوة الإخوان المسلمين الصغيرة تقوم بحصار طرق المواصلات كما أسلفنا خلال الأيام الأربعة التي شهدت معركة «ياد مردخاي» ولقد كانت هناك محاولات جريئة من جانب العدو لتعزيز وحدة الهاجاناة في المستعمرة وإمدادها بالمؤن والذخائر غير أن هذه المحاولات قد صدت بنجاح، إلا أن وحدة مصفحة من عشرين قطعة هاجمتنا من صوب مستعمرة «جيفا رآم» في ليلة ٢٤، وبعد معركة ضارية بالرشاشات ومدافع «البازوكا» نجح جزء صغير منها في دخول المستعمرة أما بقية السيارات فقد ردت على أعقابها، ولا شك أن صمود الإخوان ونجاحهم في عزل المستعمرة قد ساعد مساعدة فعالة على سقوطها بعد بضعة أيام، وحين كانت معركة الطرق تدور بيننا وبين العدو كان الجيش يحاول اختراق المستعمرة الرئيسية دون جدوى، ذلك أن تحصينات المستعمرة وخنادق الاتصال كانت مقامة بعناية مكنت رجال الهاجاناة رغم قلة عددهم في تلك المرحلة من المعركة على الصمود أمام محاولات الاقتحام المتكررة.

كانت «ياد مردخاي» غرضًا رئيسيًّا للجيش، وكان لا بد من احتلالها وتدميرها أو الحكم على الحملة المصرية كلها بالفشل، ولما يمض على بدايتها أسبوع واحد، وكانت الروح المعنوية للجنود والضباط لا

تزال عالية لم تؤثر فيها العوامل التي ظهرت بعد ذلك على الميدان، والحقيقة أن هذه المعركة أظهرت معدن الجندي المصري الصبور إذا أتيحت له القيادة الصالحة والمعدات الكافية، وحين اشتدت مقاومة العدو طلب منا أن نجلب فصيلة من رجالنا لتساهم في عملية الاقتحام النهائي للمستعمرة، وفعلاً اشتركنا في هذا الدور الحاسم بفصيلة وثلاث مصفحات كنا غنمناها من اليهود في معارك النقب.

غير أن الدور الأهم ـ دون شك ـ كان هو نجاحنا في منع وصول النجدات اليهودية للمستعمرة، وربما لو أخفقنا فيه وأتيح للعدو أن يقيم جسرًا بين المستعمرة المهاجمة ومجموعة المستعمرات المجاورة لتغيرت حتمًا نتيجة المعركة.

سقطت مستعمرة «ياد مردخاي» في يد الجيش المصري، وكان لسقوطها دوي عظيم كما كان له أثر سيء في نفوس الإسرائيليين، وبسقوطها أصبح الطريق مفتوحًا أمام الجيش المصري ليواصل زحفه شمالاً، ومع أن نتيجة هذه المعركة كانت انتصارًا بارزًا للجيش كما كانت مسرحًا لبطولات فردية نادرة، إلا أنها أثبتت للقيادة العامة أيضًا أن مهاجمة المستعمرات ليست رحلة مسلية، وأعتقد أن هذه التجربة ساعدت على وجود الاتجاه الذي برز فيما بعد لعدم مهاجمة المستعمرات اليهودية والاكتفاء باحتلال جوانب الطريق الرئيسي والدفاع عنه حتى لم يعد للجيش أي هدف استراتيجي يسعى لتحقيقه، وكان هذا الاتجاه هو المناخ الذي أدى للهزيمة النهائية في الحرب الفلسطينية»[1] .

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١١٣ ـ ١١٧).

* حصار الفالوجا . . وبطولة معروف الحضري :

«يئس العدو من اقتحام «بيت لحم» و«الخليل» لوجود هذه القوات المؤمنة فيها، فبدأ يركز هجومه على مناطق «أسدود» و«المجدل». واستطاع أن يرغم القوات المصرية على إجلاء هاتين المنطقتين والإيقاع بقوة كبيرة حاصرها في الفالوجا، وظل يحاصرها حتى نهاية الحرب، وبمحاصرة الفالوجا عزلت قوات المتطوعين عن القيادة العامة تمامًا، ولم يعد لها طريق يصلها بالقاهرة سوى الطريق الجوي الذي يصل عمان بالقاهرة.

وبدأت هذه القوات المغامرة تقاسي محنًا شديدة سببها الحصار الشديد، وكثرة ما تعرضت له من هجمات متواصلة، ورغم ذلك كان كل ما يشغل الإخوان هو مصير إخوانهم المحصورين في الفالوجا، فبدأوا ينظمون بمعونة المجاهدين العرب خططًا لتموينهم، وتسللت قوافلهم عبر الصحاري الواسعة التي يسيطر عليها العدو، تحمل المؤن للقوات المصرية المحصورة، وتتعرض في طريقها الطويل لكثير من المآزق والأخطار.

وكم من مرة اصطدمت القوافل مع دوريات اليهود واشتبكت معها في معارك دامية، ونتج عن ذلك كثير من الخسائر، ولكن الإخوان لم يكونوا يحسبون للموت حسابًا ما دام ذلك في سبيل وطنهم وكرامة جيشهم.

وإذا ذكر هذا النشاط الرائع فلا يمكن أن نغفل الدور الخطير الذي قام بها اليوزباشي (معروف الحضري) حين قاد جماعات الإخوان

المسلمين في تسللها إلى (الفولوجا) وظل يؤدي واجبه بإيمان وثبات حتى ظفر اليهود به في إحدى العمليات، ونقلوه إلى خطوطهم الخلفية حيث ظل يقاسي مرارة الأسر في معسكراتهم حتى من اللَّه عليه بالنجاة، حين انتهت الحرب، وتم تبادل الأسرى»[1].

□يقول كامل الشريف: «إذا ذكرت هذه الفترة من الحرب فلا يسعني إلا أن أُسجل فخرًا للأميرلاي «السيد طه» قائد هذه القوة، إذ كان لروحه العالية وإيمانه القوي أبعد الأثر في ثبوت جنوده ووقوفهم هذا الموقف الرائع، ومما يُذكر أيضًا - أن فرصًا كثيرة تهيأت له للإفلات والنجاة، ولكنه كان يركلها بقدمه لشعوره أن في قبولها مساسًا بكرامة الجيش والأمة، وظل يكافح بجنوده كفاح الأبطال حتى مَنّ اللَّه عليهم بالنجاة الكريمة بعد انتهاء الحرب العالمية وإعلان الهدنة وغادروا أرض (الفالوجا) بأسلحتهم ومعدّاتهم في ١١ مارس سنة ١٩٤٨م»[2].

□يقول الأستاذ حسن الجمل:

«حاصر اليهود معسكرًا في الفالوجا، وحاولت قيادة الجيش المصري بالقاهرة مدَّ القوات بالمؤن والذخائر، ولكنها لم تستطع، من هنا لجأت قيادة الجيش إلى متطوعي الإخوان ووافقت قيادة متوطعي الإخوان على المهمة وكلّفت القوة بتنفيذها، وتأخر الإخوان، وكان بسبب البحث عن ثغرة يدخلون منها، ووصلوا إلى القوات المصرية فتقدّم أحدهم رافعًا السلاح، وطلب مقابلة اللواء سيد طه، وأخبره أنه من الإخوان، ومعه

---

(١)«الإخوان المسلمون» ص(١٠٥ - ١٠٦).

(٢)«الإخوان المسلمون» ص(١٢٣).

المؤن والذخيرة، فـرحب به وبإخوانه وأعددنا قافلتين مـثل هذه القافلة، ونجح الإخـوان في اختـراق الحصـار وتوصـيل المؤن والذخيـرة والدواء للقوات المصرية»[1] .

* جزاء سنمار:

لقد سـجّل معـروف الحضـري اسمه بأحـرف من نور، ودوره في توصـيل المؤن إلى الجيش المصـري المحاصـر، شهـد له به قائد القـوات المحاصرة وما شهـد به جمال عبد الناصر أحد الضبـاط المحاصرين آنئذ: «إن الجيش كله لن يـنسى ما قام به الإخـوان». ووقع معروف الحـضري البطـل في أسـر العـدو، ثم أفرج عنه عند تبـادل الأسرى، وبعـد قيـام الثورة عرض عليه عبد الناصر قـيادة القوات المسلحة نظير تنكره للإخوان فرفض البـطل، وكان جزاؤه السـجن ممن أسدى له الجـميل في حـصار الفالوجا.

□ بينما كان الإخوان يعملون بهـمة وإخلاص في تموين (الفالوجا) ومعـاونتها على تحـمل آلام الحصار، ويستـميتـون في الدفاع عن مناطق (بيت لحم) و(الخليل)، إذ روع العالم الإسلامي بنبـأ القرار الغاشم الذي أصدره (النقـراشي) وحل بموجبـه هيئـة (الإخوان المسلمين) في مـصر، وكانت طعنة نجلاء وجـهها الإنجليز على يد صنائعـهم من المستورين إلى ظهر الشبيبة الإسلامية المحاربة.

وجن جنود الإخوان عند سـماعهم هذا النبأ، غـير أن الأوامر التي

---

(١) «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين».

وصلتهم بعد ذلك من المرشد كانت تأمرهم بالتزام الهدوء والإخلاد إلى السكينة. ولن يتصور أحد عظم الكارثة التي كان يمكن أن تقع لو ركب (الإخوان) رؤوسهم، وقاموا بأي إجراء طائش، إذ كانوا هم وحدهم يدافعون عن منطقة من أكبر المناطق والعدو يحيط بهم من كل جانب، وينتظر الفرصة ليبتلع هذه المدن الغنية الواسعة، وقدر الإخوان عظم الخطر، فقهروا عواطفهم واكتفوا بإرسال برقية إلى كبير الأمناء بقصر عابدين ضمنوها سخطهم الشديد لصدور هذا الإجراء الظالم»[1] .

❑ يقول الأستاذ حسن الجمل:

«بعد قرار الحل وصل خطاب من المرشد العام الإمام حسن البنا يقول: «أيها الإخوان... لا يهمكم ما يجري في مصر، إن مهمتكم هي مقاتلة اليهود، وما دام في فلسطين يهودي واحد، فإن مهمتكم لم تنته بعد».

للَّه درك من داعية عظيم ترتفع فوق المحن.. وتنظر إلى وحدة الأمة... فجزاك اللَّه عن أمتك أحسن الجزاء.

* فرض الهدنة الثانية في ١٨ يوليو ١٩٤٨م لإنقاذ اليهود:

مجلس الأمن مطية لتحقيق مخططات اليهود:

الإنجليز ينجحون في استصدار قرار جديد من مجلس الأمن بفرض الهدنة الثانية في (١٨ يوليه ١٩٤٨م) لإنقاذ يهود وتمكينهم من تحقيق مخططهم.

وفرضت الهدنة الثانية واستطاع اليهود أن يجلبوا أنواعًا جديدة من

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٠٦).

الأسلحة الثقيلة والطائرات الضخمة، وحين آنسوا في أنفسهم شيئًا من القوة والإعداد ضربوا بالهدنة عرض الحائط، وهاجموا مناطق واحتلوها وقاموا بعمليات عسكرية واسعة النطاق... بل وأجبروا الجيش المصري على الانسحاب والتخلي عن (المجدل) (وأسدود) والتجمع في (رفح ـ غزة) تاركًا ورائه خمسة آلاف جندي محاصرين في الفالوجا بقيادة سيد طه، بناء على تعليمات من قيادة الجيش المصري.

وكان احتلال اليهود لقرية «بيت حانون» في ١٦ أكتوبر قطعًا لطريق المواصلات الرئيسي الذي يربط غزة ببقية المناطق.

وبسبب هذه الأوامر المرتجلة غير المدروسة تعرض قرابة خمسة آلاف جندي في الفالوجا للإفناء والأسر، وضاعت بئر سبع.

❑ وتجمع اليهود في مستعمرات النقب، ثم انهار القطاع الجنوبي (عسلوج ـ العوجا) ثم اقتحم اليهود حدود مصر الشرقية وزحفوا حتى مشارف مدينة العريش وأصبح لليهود السيطرة الفعلية على أجزاء النقب الشمالية.

❑ وجد الإخوان المسلمون أنفسهم أمام حقيقة واقعة هي عبء المحافظة على جيش مصر وحمايته من أي عدوان يحركه اليهود من هذه المنطقة، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بفداحة الكارثة التي كانت وشيكة الوقوع لولا وجود هذه الفئة المؤمنة المجاهدة في ذلك الحين.

❑ بالرغم من كل هذه الأخطاء التي ارتكبها الجيش، فإن الإخوان المجاهدين لم يناقشوا أحدًا الحساب... وإنما كان كل همهم هو إنقاذ

الجيش.

* خطة الإخوان لإنقاذ الجيش والاحتفاظ بما بقي من فلسطين تمهيداً لمعركة التحرير:

□ وقدم الإخوان المجاهدون مشروعًا يبين خطورة الموقف وطالبوا بإعطائهم العتاد اللازم والترخيص لهم بإحضار قوات أخرى من مصر حتى يمكنهم تنفيذ المشروع الذي يقضي باحتلال مواقع «حاكمة» حول كل مستعمرة من المستعمرات الكبيرة، ومحاصرتها وعدم إعطائها أية فرصة للتكتل اليهودي حتى يفرغ الجيش من تنظيم صفوفه.

وافقت القيادة العامة في غزة على المشروع ووعد اللواء المواوي بالكتابة إلى الجامعة العربية، وإلى رئاسة أركان الحرب يطالبهم بتجنيد كتيبة من الإخوان وإرسالهم فوراً إلى الميدان ليتمكن من السيطرة على الموقف.

وسافر الأستاذ محمد فرغلي رئيس الإخوان في فلسطين إلى مصر لتجهيز تلك الكتيبة، فيعتقلوه في مصر بلد العجائب.

أما الإخوان الموجودون في ساحة القتال فقد جمعهم الأستاذ كامل الشريف في ساحة التدريب بالمعسكر قال لهم: «إن اللّه قد فتح لهم بابًا جديدًا للجهاد، وإن الظروف قد ألقت على كواهلهم عبء المحافظة على الجيش وكرامته، وإنه لولا ثقته في قوة إيمانهم ورغبتهم في الكفاح ما قبل أداء هذه المهمة الشاقة التي يعلم فداحتها وخطرها.

□ يقول الأستاذ كامل الشريف:

«لن أستطيع أن أصور شعور الإخوان، وهم يستمعون لهذه الأنباء،

كانوا يقبلون في ابتهاج واضح، وكأنهم يُدعون لحفلة عُرس أو نزهة خلوية، لا إلى ميدان القتال فيه من المشقة والخطر ما فيه!!»(١) .

وبدأ الإخوان على الفور عملية استكشاف حول المستعمرات وعاينوا المواقع التي رأوا احتلالها، وأقيمت المواقع الجديدة حول المستعمرات، ولم تكن سيارة يهودية تجرؤ على التنقّل بين مستعمرة وأخرى إذْ قام الإخوان بعمل كمائن على الطريق وملأوا الأرض بالألغام وأخذت دورياتهم المصفّحة تجوب الصحراء الواسعة وتصل في طوافها حتى مدينة بئر نفسها.

وخلال أسبوع واحد من بدء العمل دمر الإخوان خمسة عشرة مصفحة ودبابة، عدا أنابيب المياه التي تدمر كل يوم.

ضج اليهود بالشكوى، وأبلغوا مراقبي الهدنة احتاجاتهم أكثر من مرة، وهددت إذاعة إسرائيل باستئناف القتال ضد الجيش إن لم تكف عصابات الإخوان عن نشاطها في هذه المنقطة.

استفاد الإخوان في هذه العمليات الناجحة من البدو وخاصة عشائر (الترابين) و(الحناجرة) و(النصيرات) و(التياها) و(المعالقة) الذين وضعوا كل شبابهم تحت تصرف الإخوان وكل ما لديهم من سلاح، وذخير وسيارات.

وخلال أسبوع واحد من بدء العمل دمر الإخوان للعدو خمسة عشرة مصفحة ودبابة، عدا أنابيب المياه التي تدمر كل يوم.

ضج اليهود بالشكوى، وأبلغوا مراقبي الهدنة احتجاجاتهم أكثر من مرة، وهددت إذاعة إسرائيل باستئناف القتال ضد الجيش إن لم تكف

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٢٥).

عصابات الإخوان عن نشاطها في هذه المنطقة.

استفاد الإخوان في هذه العمليات الناجحة من البدو، وخاصة عشائر (الترابيين) و(الحناجرة) و(النصيرات) و(التياها) و(المعالقة) الذين وضعوا كل شبابهم تحت تصرف الإخوان، وكل ما لديهم من سلاح وذخيرة وسيارات.

وفي ظل هذه العمليات، تم انسحاب الجيش، واستقراره في المواقع الجديدة التي اختارها.

أما الإخوان المسلمون الذين كانوا خارج فلسطين عندما بلغهم خطورة الموقف العسكري في فلسطين فقد اتصل وكيل الإخوان «محمود لبيب» بشعب الإخوان في القطر وأمرهم بالاستعداد لإرسال متطوعين جدد إلى فلسطين.

❑ يقول الأستاذ كمال الشريف:

«أذكر الوقت الذي كان فيه المرشد العام ـ عليه رحمة اللّٰه ورضوانه ـ يعدّ قوة ضخمة للدفاع عن القدس، حيث كان اليهود يشنون هجمات عنيفة على مراكز الجيش الأردني بها، مما خشي معه أن يستولي اليهود على المدينة المقدّسة، وأذكر أن حديثًا تليفونيًّا جرى بيني وبين فضيلته، وكان يقول لي: إنه يجهز قوات كثيفة ليدخل بها فلسطين، وأنه سيعلن الجهاد الديني والتعبئة الشعبية بعد أن فشلت الحكومات وجامعاتها، وكان يسوق لي هذه الأنباء مردّدًا هذه العبارة: «مفيش فايدة، الناس دول مش عايزين يحاربوا»، وكان فضيلته يرمي من وراء ذلك إلى إثارة الشعور الديني في العالم الإسلامي، ودفع الشعوب الإسلامية والحكومات

الإسلامية لعمل شيء ما.

على أن الحركة العسكرية التي أرادها المرشد العام لم يقدر لها النجاح، إذ وقف عناد النقراشي ـ الزعيم النزيه! ـ حجر عثرة في سبيلها استجابة لرغبات الإنجليز وتمشيًا مع سياستهم الذين كان يُفزعهم اسم الإخوان وأنباء قتالهم الرائع في فلسطين.

ولقد سمع ضباط الجيش وجنوده بأنباء هذه الحركات الشعبية التي أرادها المرشد العام وارتاحوا لها، وعلّقوا عليها كثيرًا من الآمال الكبار، وكان الجميع يعلمون أن مجيئه كفيل ببعث الروح المعنوية التي سحقتها الهزائم، وشد أزر المحاربين الذين فقدوا الثقة في قادتهم وزعمائهم، ولم يكن يدور في خاطر أحد أن هذا الوقت العصيب هو الذي حدّده النقراشي ليركب رأسه، ويرتكب أبشع حماقة عرفها تاريخ مصر الحديث.

ولم تلبث الأنباء أن جاءت بعد ذلك بقيام المذبحة الهائلة فسيق زعماء الإخوان إلى المنافي والمعتقلات، وكان من بينهم الأستاذ «محمد فرغلي» الذي ذهب ليستحضر جنودًا للميدان..!!!»[١].

* معركة التبة «٨٦» (٢٣/١٢/١٩٤٨) وبطولات الإخوان بعد قرار حل جماعتهم:

بعد قرار حل جماعة الإخوان في ٨/١٢/١٩٤٨م[٢]، واضطرار

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٢٥).

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) كان وراء هذا الحل اجتماع سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وطلبهم حل جماعة الإخوان المسلمين كما جاء في الوثيقة البريطانية والتي عليها إمضاء أوبريان ماجور بتاريخ=

الجيش المصري إلى إخلاء مناطق برمّتها عندما احتل اليهود موقعًا مشابهًا عند «بيت حانون».

□يقول كامل الشريف:

«تحدّث إليَّ الأميرالاي «محمود رأفت قائد قطاع» «دير البلح» بالتليفون في ساعة متأخرة من ليلة ٢٣ ديسمبر، وأخبرني أن العدو قد نجح في اختراق خطوطنا الأمامية في دير البلح وانتزع المرتفع من أيدي جنودنا الذين أذهلتهم «المفاجأة». وقواته تتجمع الآن، وتحاول الوصول إلى طريق المواصلات الرئيسي، ولكن قوات الجيش تحاول حصره فوق المرتفع حتى الصباح، حيث يمكننا أن نقوم بهجمات مضادة لاسترداده وتطهيره، ثم صارحني بأن الموقف جد خطير، وأن هذه المعركة سوف يكون لها أثر بالغ في النتيجة العامة للحرب، وختم حديثه طالبًا أن يستعد الإخوان ليكونوا آخر «ورقة» نقذف بها في وجه اليهود»[1].

«وسرعان ما شرح كامل الشريف الموقف للإخوان، وتسارعت الفصائل كل يريد أن يكون له شرف العمل ضد العدو، وتم اختيار ثلاث فصائل هلَّل أفرادها وكبروا وهتفوا من أعماق قلوبهم (هبّي ريح الجنة هبِّي)، وتحركت السيارة بالفصائل الثلاثة إلى أرض المعركة».

وكان جنود الجيش يحاولون طرد العدو واستعادة الموقع، لكن

= ١٣/ ١١/ ١٩٤٨م ووثيقة أخرى مرسلة من رئيس إدارة المخابرات البريطانية «فرع أ» بقيادة القوات البريطانية بالشرق الأوسط إلى إدارة المخابرات ج.س ـ ١٣ في القيادة العليا للقوات البريطانية في مصر وعليها إمضاء قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط كولونيل أ.م. ماك درموت بتاريخ ٢٠/ ١١/ ١٩٤٨م، انظر: «موسوعة الشهداء شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث» ص(١٦٠ ـ ١٦١).

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٤٣).

ارتفاع الموقع وسيطرة أسلحة العدو على الأرض المحيطة كانا يمنعان الجنود من الاقتراب وسقط كثيرون، والعدو الماكر يربض خلف خنادقه يصوب نيرانه على لحوم بشرية متراصة وبدا جليًّا للعيان أن لا أمل مطلقًا في كسب المعركة إلا في حضور عدد من الدبابات فأرسلوا في طلبها ودفعت إلى المعركة فتعطلت منها اثنتان على سفح التل، ولم يستطع أحد الاقتراب من مواقع العدو، وطلب قائد الموقع الأميرالاي محمود رأفت إحضار الإخوان على عجل، وما إن سمع الجنود والضباط اسم الإخوان حتى سرت في نفوسهم روح جديدة من الأمل والثقة، ووصل الإخوان إلى ميدان المعركة وقسموا أنفسهم ثلاث مجموعات، اثنتان منها هاجمت الموقع من الأمام ومن جهة الشمال، ودارت الثالثة حول المرتفع وهاجمت مؤخرته، ومنعت تدفق الإمدادات عليه، وشغلت المدافعين عن القوتين الأخريتين، وتقدمت الدبابات متجمعة أمام قوة من الإخوان تحت ستار من نيران المدفعية والأسلحة الرشاشة وتحت غلالة من قنابل الدخان. وبدأت المعركة وانطلق الإخوان إلى أهدافهم وقد علت وجوههم إشراقة الإيمان القوي وهم ينشدون:

هو الحق يحشد أجناده ويعتد للموقف الفاصل

فصفوا الكتائب آساده ودكوا به دولة الباطل

وتقدم شباب الإخوان في ثبات وقوة لملاقاة أعدائه».

لقد آمن الضباط والجنود أن هناك نتيجتين لا ثالث لهما: إما أن ينتصر هؤلاء الشباب أو يموتوا جميعًا؛ لأن الانسحاب والتراجع لا يدخل في برنامجهم اطلاقًا، وخاصة في مثل هذا الموقف الحرج الخطير.

وظلت مدافع الإخوان تقذف الموقع بقنابل الدخان فترة طويلة حتى أحالت القمة إلى سحابة قاتمة لا ترى خلالها غير ألسنة اللهب الناتج عن انفجارات القنابل.

«وسكنت المدافع وانساب المجاهدون إلى أهدافهم وبدأت معركة الخنادق وروع اليهود حين رأوا الإخوان يلقون بأنفسهم فوقهم في الخنادق والدشم ويقاتلونهم بالحراب والأيدي ورغم كثرة الضحايا من الإخوان، فإن القوة تمكنت من احتلال خنادق العدو، وأخذت تطهرها جزءًا جزءًا، ولم يجد اليهود بُدًّا من إخلاء الموقع، فصمتت مدفعيتهم وأسلحتهم وشوهدت مصفحاتهم تتحرك للخلف حاملة الجرحى والهلكى، وكان هذا حافزًا للجنود الآخرين ملهبًا لحماسهم فأخذوا يتكاثرون في الموقع ويتمون تطهيره، حتى جاءت أخيرًا (قاذفات اللهب) تطارد فلول العدو المنهزمة وانتهت المعركة بنصر حاسم، وكانت إحدى المعارك الكبرى التي تكبد فيها العدو خسائر فادحة دون أن يحصل على نتيجة تذكر ووجد ضمن القتلى عدد من كبار الضباط الإسرائيليين، وبينهم قائد المعركة وهو «كولونيل» روسي يحتل مركزًا هامًّا في الجيش الإسرائيلي ووجدت في جيبه تفاصيل الخطة التي اتبعت في دير البلح والخطط المقبلة التي كان يراد منها إلقاء الجيش المصري في أعماق البحر، واحتل الجنود الموقع بعد فرار اليهود، أما جنود الإخوان فقد انسحبوا في سكوت وهدوء بعد أن غنموا كميات وفيرة من الأسلحة الألمانية والروسية وأكداسًا من القنابل والذخائر. وكان الضباط يعانقونهم عند خروجهم ويهنئونهم بهذا النصر الحاسم ويشيدون بجهودهم وفضلهم».

ولقد سقط من الإخوان في هذه المعركة وحدها عدد كبير من الجرحى والشهداء، وكان أول الشهداء قائد الفصيلة المرحوم «السيد محمد منصور» من إخوان الشرقية. ومما يروى عن هذا الرجل أنه حين أصيب بالضربة القاتلة التف حوله نفر من إخوانه وشغلوا به عن الهجوم فنهرهم بشدة، وحينما حملوه إلى الخطوط الخلفية أفاق من غيبوبته وسألهم عن سير المعركة فأجابوه بما طمأن نفسه فابتسم وغمغم، الحمد للَّه ولم يقف لسانه عن الدعاء لحظة: اللَّه انصر دعوتنا وحقق غايتنا حتى لفظ أنفاسه الطاهرة، ونحسبه قد مضى إلى جنة ربه الواسعة ليحمل البشرى إلى سكانها: «إن شجرة الإسلام الخالدة قد بدأت تورق من جديد».

أما (حسن العزازي) من إخوان العريش فقد أصيب بجرح في كتفه، وكان في وسعه أن يعود ولكنه ظل يكافح بصعوبة حتى احتمى بنتوء بارز في مواجهة العدو، وأخذ يلهب خنادقه برصاص مدفعه الرشاش حتى أسقط منهم عدد كبير مما اضطرهم إلى تركيز نيرانهم عليه، فأصابته عدة طلقات في مواضع مختلفة من جسمه فسكت مدفعه وصعدت روحه الطاهرة بعد أن ثأر لنفسه ومتّع نظره برؤية الدم الصهيوني المراق.

📖 يقول الأستاذ كامل الشريف:

«قد كان عدد الجرحى كبيرًا، ومنهم من مات متأثرًا بجراحه بعد وصوله للمستشفى، ومنهم من عاد في «إرساليات مَرَضيّة إلى مصر، ثم كمل علاجه في معتقلات الطور وهاكستب! ولا تظنني أمزح أيها القارئ

الكريم، فإنني لا أسجل إلا الحق والصدق، فإن اثنين من جرحى هذه المعركة، وهما الأخوان المجاهدان «عويس عبد الوهاب» و«سيد عيد يوسف» قد نقلا بعد المعركة إلى مستشفيات مصر لمعالجة جراحهما الخطيرة، ولكن البوليس السياسي أشار بنقلهما إلى الطور ـ ولعله خشي انضمامهما إلى الجيش الإرهابي السري!! فنزعا من المستشفيات وجراحهما لا تزال تنزف دمًا، وأُلقيا في أحد العنابر الرطبة دون غذاء أو علاج. ولا يزال أحدهما يعاني ألمًا مرًّا من رصاصة مستقرة في بدنه.

* معركة دير البلح مفخرة كبرى من مفاخر الإخوان:

قال كامل الشريف:

«انتهت معركة «دير البلح» على الصورة التي ذكرنا، وكان دور الإخوان فيها مفخرة كبرى من مفاخر هذه الدعوة، وأثرها في تكوين المحارب الناجح، وبجانب الكسب الأدبي فقد غنم الإخوان عددًا كبيرًا من الأسلحة الرشاشة التي كانوا في أمسّ الحاجة إليها. ولقد كلّفهم هذا الانتصار غاليًا فسقط منهم عدد كبير من الجرحى والشهداء، غير أن هذه الخسارة لم تزعزع من إيمان الإخوان وثباتهم»[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٤٣).

* شهادة القادة العسكريين للأبطال من الإخوان المسلمين:

لا يعرف قدر أبطال الإخوان ودورهم في حرب ١٩٤٨م بفلسطين إلا من عاصرهم وعايشهم في هذه الحرب:

□ قال اللواء المواوي قائد القوات المصرية المقاتلة في فلسطين: «كان الإخوان ينزعون ألغام اليهود وينسفونهم بها في صحراء النقب»(١).

□ ومن بعده تقدم اللواء «فؤاد صادق» - قائد القوات المصرية في فلسطين - للحكومة السعدية طالبًا منح نياشين رفيعة للإخوان... فماطلت الحكومة السعدية زمنًا طويلاً وحاولت إقناع «فؤاد صادق» بالعدول عن مطلبه غير أن الرجل الشجاع أصرّ على ذلك واعتبر هذه المماطلة امتهانًا لكرامته وإحراجًا لمركزه، مما اضطر الحكومة لإجابة مطلبه، فاختارت حلاً وسطًا. وصدرت النشرة العسكرية في مايو سنة ١٩٤٨م تحمل أسماء خمسة عشر جنديًّا من الإخوان المسلمين المصريين والفلسطينيين، ورأت الحكومة أن تداري موقفها المخجل فسمّتهم في نشرتها «جماعة المتطوعين المصريين»! ثم تتابعت النشرات العسكرية تحمل الإنعام على أبطال الإخوان في «بيت لحم» و«صور باهر» وغيرهما من المناطق.

ومن المضحك أن تصدر النشرات العسكرية وفيها اعتراف رسمي ببطولة جنود الإخوان، وقت أن كان الأبطال المنعم عليهم لا يزالون يقاسون مرارة الاعتقال، ويعيشون كالمجرمين الخطرين خلف الأسلاك الشائكة بين معسكرات «رفح» و«الطور» و«هاكستب»!! وهكذا أباحت العقلية المنكوسة لنفسها معاملة طائفة من الناس على أنهم أبطال مغاوير،

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(٥٧).

ومجرمون في آن واحد[١] .

❑ ولما زار الفريق «عثمان المهدي» رئيس أركان حرب الميدان الجبهة أبدى رغبته في لقاء قائد المعتقلين «كمال الشريف» فلما دخل عليه وحيَّاه، أخذ يطري على الإخوان ويبرّر موقف الجيش فيما حدث لهم.

ومما قاله المهدي في هذا المجال «إن مصر كلها لن تنسى لهم هذا الموقف النبيل الذي وقفوه مع جيش البلاد في محنته، وإن الحقيقة سوف تتضح يومًا ما ليعلم الرأي العام حقيقة موقفهم في فلسطين» ثم رجاه أن يحمل أزكى تحياته للإخوان وأن يبلغهم على لسانه أنه يعد بسرعة الإفراج عنهم. . . »[٢] .

وانظر ما كتب القادة عن معروف الحضري وغيره من أبطال الإخوان، وما كتبوا عن حمايتهم للجيش المصري عند انسحابه ونجا الجيش بذلك من هلاك محقق.

* الإِخوان المسلمون السوريون في فلسطين:

❑ يتكلم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي في كتيب له أسماه «الإخوان المسلمون في معارك فلسطين» عن أهم المعارك التي خاضوها في داخل فلسطين فيقول:

معاركنا في القدس

كان من واجبنا أن نضيق الخناق على يهود القدس الحديثة والقديمة،

---

(١) «الإخوان المسلمون» ص(١٤٨ ـ ١٤٩).

(٢) المصدر السابق ص(١٧٩).

وكان فريق من مجتهدي الإخوان المصريين بإشراف الأخ محمود عبده وقيادة البطل الشهيد أحمد عبد العزيز يرابطون في «صور باهر» القرية العربية الواقعة جنوبي القدس. كما كان فريق من إخواننا الأردنيين بقيادة الأخ الحاج عبد اللطيف أبو قورة يرابطون في «عين كارم» الواقعة غربي القدس، وقد استطاع المجاهدون الفلسطينيون قطع الطريق الموصل من تل أبيب إلى القدس بعد معارك طويلة عند «باب الواد» اشتركت فيها مدفعية جيش الإنقاذ وحضرنا جزءًا منها، وبذلك أصبح يهود القدس ومستعمراتها القريبة منها مطوقين تطويقًا تامًّا، إذ كان العرب أيضًا يسيطرون على طريق القدس؛ لأنه طريق أريحا وعمان، كما كانوا يسيطرون على طريق القدس الشمالي إذ كان طريق نابلس العربية يسيطر على مدخله حي الشيخ جراح العربي.

كانت المعارك بيننا وبين اليهود في أطراف القدس، وداخلها مستمرة لا ينقطع فيها أزيز الرصاص والرشاشات والقنابل ساعة واحدة في ليل أو نهار من خلال نوافذ البيوت أو منعطفات الطريق أو الهجمات المباغتة على مراكزهم أو هجماتهم على مراكزنا وكثيرًا ما كانت ترسل النجدات المتعددة في يوم واحد إلى مراكزنا من المجاهدين الاحتياطيين الموجودين في مقر القيادة.

اشتداد المعارك بعد جلاء الإنجليز

ولما جلا الإنجليز عن فلسطين في ١٥ آيار (مايو) عام ١٩٤٨م أضافوا إلى سلسلة مؤمراتهم على العرب مؤامرة جديدة، إذ أخبروا اليهود سرًّا بواسطة بناتهم اللاتي كن يعاشرن الضباط الإنجليز عن موعد

جلائهم عن المراكز العسكرية التي كانوا يحتلونها في منطقة القدس، وكانت كحاجز بين الجماهير العرب وجماهير اليهود المدنيين مما كان يمكنهم من مزاولة أعمالهم والبقاء في بيوتهم، فلما تم احتلال اليهود لتلك المراكز يوم ١٥ آيار أصبح وضع العرب في القدس محرجًا لقلة المقاتلين والذخيرة عندهم مما يستحيل معه احتفاظهم بأكثر أحيائهم العربية في القدس الحديثة، وأذكر أننا خرجنا في صباح ذلك اليوم إلى مستعمرات «كفار عصيون» الواقعة جنوب القدس على طريق الخليل إثر معركة نشبت بين اليهود في هذه المستعمرات وبين كتيبة من الجيش العربي بقيادة الكولونيل عبد اللَّه التل، وانتهت بتدمير المستعمرة الرئيسية تدميرًا تامًّا واستسلام سكان المستعمرات المجاورة لها، وقد كان طريقنا إليها من باب الخليل في القدس مارين بحي منتوفوري اليهودي الذي كان المجاهدون الفلسطينيون بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني قد دمروا أكثر أبنيته الضخمة، خرجنا في الصباح، وكان الإنجليز يتأهبون لمغادرة القدس، وقد اصطفت قوافل سياراتهم العسكرية في رتل طويل جنوب القدس، ولما انتهينا من الإشراف على استلام الأسرى اليهود الذين أبوا أن يستسلموا إلا للجيش العربي دون المجاهدين العرب، ونقلوا في سيارات الجيش العربي إلى عمان، وقد قيل يومئذ: أن من بين الأسرى بنت الزعيم اليهودي (وايزمن)، ولم نتأكد نحن من ذلك؛ لأن البنات الأسيرات اللواتي كن يقاتلن مع الرجال أبين أن يخبرن عن أسمائهن. لما انتهينا من ذلك كان الوقت قد أشرف على الغروب فلما اقتربنا من القدس كان اليهود قد قطعوا إلى باب الخليل باستحكاماتهم التي أقاموها

على أطلال حي مانتوفيوري فوجدنا أنفسنا معرضين لنيرانهم مما اضطرنا إلى ركوب سيارة مصفحة كان المجاهدون المقدسيون قد غنموها من اليهود في إحدى معاركهم، ولما وصلنا مقر القيادة وجدنا الأمر قد تغير تمامًا وأكثر سكان الأحياء العربية المتاخمة لليهود قد هجروها إلى داخل مدينة القدس.

معركة القطمون

حي القطمون هو أهم حي عربي في القدس الحديثة واقع في جنوبها ويشبه إلى حد كبير «أبي رمانة» في دمشق إذ كان يقطنه سراة العرب المقدسيين وأعيانهم، وكانت تقع فيه أكثر القنصليات العربية، كما كان يسكنه الزعيم الفلسطيني المجاهد أحمد حلمي، وقد أبى مغادرته بعد جلاء الإنجليز رغم خطورة الوضع فيه، وكان يزور إخواننا المرابطين في هذا الحي كل يوم تقريبًا، ولما تم جلاء الإنجليز عن القدس أصبح وضعهم حرجًا إذ كانت فيه قنصليتا الأردن والعراق مع حراسهما، وفي ذات يوم فوجئ إخواننا بانسحاب حراس القنصليتين ومن فيهما فشدد اليهود هجماتهم على إخواننا وعلى المجاهدين الفلسطينيين المرابطين في الحي نفسه بقيادة الشهيد البطل «أبي دية» ـ رحمه اللّه ـ ولما احتل اليهود المنطقة التي كان يدافع عنها أبو دية بعد معركة عنيفة أصبح إخواننا محاصرين من كل جانب، ولم يكونوا أكثر من ٢٤ مجاهدًا مع قليل من الذخيرة والعتاد وقد صمدوا لهجمات اليهود أكثر من ثلاثة أيام دون أن يستسلموا حتى وقعت هدنة بين القيادة العربية واليهود بواسطة الصليب الأحمر لمدة ٢٤ ساعة لنقل قتلى اليهود وجرحاهم، عندئذ انسحب إخواننا إلى داخل مدينة القدس، وأصبح حي القطمون كله تحت

سيطرة اليهود.

معركة الحي اليهودي في القدس القديمة

ابتدأت قبل جلاء الإنجليز عن القدس بخمسة أيام، فقد كان اليهود في هذا الحي محاصرين منذ ستة أشهر يأتيهم طعامهم وحاجتهم بواسطة الإنجليز، وأخيرًا صمم المجاهدون على اقتحام الحي والتخلص منه. وكانت معركة من أشد المعارك التي خضناها في القدس أظهر فيها المجاهدون من البطولات ما يعجز عنه الوصف، فقد كانوا يتقدمون لنسف الحي اليهودي بيتًا بيتًا بأيديهم الرشاشات والقنابل تحت وابل من الرصاص والقنابل الذي كان يقذفه اليهود عليهم من نوافذ البيوت، وكلما انتهى المجاهدون من نسف بيت ابتدءوا بنسف بيت آخر وهكذا.

كان الحي ضيق الطرقات جدًّا كما هو شأن الأحياء اليهودية القديمة في كل مكان، وكانت فيه ممرات تحت الأرض متصل بعضها ببعض بحيث يستطيعون العودة في الليل إلى ما فقدوه في النهار، وكثيرًا ما كان يفاجأ المجاهدون وهم واقفون فوق أطلال البيوت بقنابل تلقى عليهم من قرب كما حدث لي ذات مرة، ولولا لطف اللَّه لأصبنا إصابات بالغة، ولما غادر الإنجليز القدس اشتدت هجمات المجاهدين العرب على الحي، كما اشتدت هجمات مقاومة اليهود، ثم اضطروا للتسليم لنفاد ذخيرتهم بعد وقوع معركة القدس الكبرى التي سأتحدث عنها فيما بعد، وقد كان وفد المفاوضة منهم مؤلفًا من مختار الحي وهو يهودي عاش في فلسطين يتحدث العربية بطلاقة، ومن اثنين من الحاخام أحدهما عراقي والآخر بولوني كان يتلو التوراة بلا انقطاع ومن شاب مدرس وفتاة كانت تدعي

أنها ممرضة وتبين فيما بعد أنها من «الهاجانا» وهما يتكلمان العربية بطلاقة أيضًا، وقد علمت من الفتاة أنها تتقن استعمال جميع أنواع السلاح من المسدس إلى مدفعية «الهاون». كما علمت من وفدهم أنهم لم يسلموا إلا لنفاد ذخيرتهم، أما الطعام فكان لديهم موجودًا رغم الحصار المفروض عليهم منذ ستة أشهر، وقد علمنا منهم أن الطعام كان يصلهم بواسطة الإنجليز قبل جلائهم، ومن كنيسة الأرمن المحاذية لهم بعد ذلك، وقد تولى قائد الجيش العربي الذي حضرت منه مدفعية صغيرة في انتهاء معركة القدس أمور المفاوضات مع اليهود، وكان المجاهدون يصرون على أن يأسروا جميع من في الحي انتقامًا من حوادث دير ياسين، ولكن قائد الجيش العربي كان يتصل دائمًا بقادته في عمان، إلى أن جاء إليه الإيعاز بأن يتسلم أسلحتهم ويأسر القادرين منهم على القتال ويترك رجال الدين والنساء والفتيات - ولو كن مقاتلات - ويسلم العجزة والأطفال إلى الصليب الأحمر، وأن يسمح لهم بأخذ كل ما يستطيعون حمله من حلي ومال وثياب!... وانتقلنا بعد ذلك إلى الساحة الكبرى في الحي اليهودي وكان اليهود قد تجمعوا فيه، وكانوا مختلفين في حالة الجزع والخوف، فاليهود الأوروبيون، وكلهم شباب وفتيان كانوا يتجلدون، ولم نر واحدًا منهم تدمع عيناه، أما اليهود العرب فقد كانوا في حالة من البكاء والرعب شديدة، ومن طرائف ما رأيته في ذلك اليوم أنه بينما كنا واقفين في ساحة الحي اليهودي ننتظر حضور اليهود جميعًا إلى الساحة جاءني يهودي في نحو الستين وهو يبكي ويقول بلهجة دمشقية: يا سيدي! أهذا عدل؟ أليس حرامًا؟ قلت: له ماذا حصل لك؟ فأجابني وهو يبكي: يا سيدي لقد فقد طربوشي!..

فأجبته وأنا أتميز من الغيظ ولا أتمالك من الضحك؟ لقد قتلتم في دير ياسين بناتنا وأطفالنا وفعلتم بهم أشنع الأفعال، أفلا يكفيك من عدالتنا اليوم أنك ضمنت حياتك وستكون في المساء عند إخوانك في القدس الحديثة؟ ومع ذلك تسأل عن الطربوش؟! وبعد انتهاء تجمعهم أفرز الشباب منهم برأي القائد العربي فلم يتجاوزوا مئة، مع أن مقاتليهم كانوا يزيدون على خمسمائة قطعًا، وأخرج من بينهم رجال الدين ولو كانوا شبابًا والنساء مع أن أكثرهم مقاتلات، وانتقلنا إلى المستشفى فوجدناه مليئًا بمن يتظاهرون أنهم من الجرحى إذ كانوا قد عصبوا أيديهم ورؤوسهم وأرجلهم بعصائب، فأبينا إلا أن نفتش عن كل واحد منهم، وكان معنا طبيب عربي، وتبين بعد الفحص أن أكثر عصائبهم كانت تمويها فضممناهم إلى الأسرى من الشباب. أما السلاح فلم يسلمونا إلا قطعتين أو ثلاثة، وسألناهم أين سلاحكم؟ فرفضوا أن يجيبوا فتشنا في البيوت فلم نجد شيئًا، فغلب على ظننا أنهم ألقوها في الآبار البعيدة الغور، وبعد أن تم تسليم غير المأسورين إلى الصليب الأحمر دخل المجاهدون إلى بيوتهم فتبين أنهم قد زرعوا أبواب البيوت بالقنابل المتفجرة مما حملنا على أن نخصص بعضًا من المجاهدين لتتبع هذه القنابل والتقاطها قبل انفجارها، وقد أصيب بسبب ذلك الأخ إبراهيم حداقي مما أدى إلى بتر معصمه الأيمن بعد أن حمل قنبلة ليرميها بعيداً فانفجرت وهي بيده.

أما سكان القدس من العرب فقد تجمعوا في الشوارع ليشهدوا الأسرى، وكانوا يريدون التقاط صور لهم ولكن قيادة الجيش العربي أبت

ذلك، وأخرجتهم من القدس قبيل الفجر لئلا يراهم أحد. وهكذا انتهت معركة الحي اليهودي وغادرناه والدمار قد حاق بأكثره، والحرائق التي أشعلها اليهود قبل مغادرتهم قد أتت على الباقي.

نسف الكنيس اليهودي

تميزت معركة الحي اليهودي في القدس بحادث كان له وقع أليم جدًّا في نفوس اليهود، ذلك أنه يوجد لهم فيه أقدم كنيس في فلسطين وربما كان في العالم كله، وهو بناء ضخم مستدير له قبة عالية، وهو يشرف على صحن المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ولهم فيه أقدم نسخ التوراة المتوارثة عندهم منذ مئات السنين مكتوبة بخط عبري واضح على جلد سميك، وقد اتخذ اليهود هذا الكنيس مركزًا حربيًّا يطلقون منه نيران بنادقهم ورشاشاتهم على المسلمين المتجولين في حرم المسجد الأقصى، ولما تمادوا في هذا العمل أنذرناهم بواسطة مكبرات الصوت أننا سننتقم منهم وسنهدم الكنيس إذا استمروا في استغلال أماكن العبادة للأعمال العدوانية، ولكنهم ازدادوا في العناد فوضعوا أكياس الرمل على سطح الكنيس حول قبته واستمروا يطلقون من ورائها النيران على الحرم القدسي وعلى مقر قيادتنا في الروضة، حتى إذا بدأت معركة الحي اليهودي وتمكن المجاهدون من نسف قسم كبير من بيوته وأصبحوا على مقربة منه قرروا نسف الكنيس، وفي ساعة من ساعات النضال في هذه المعركة وضعت المتفجرات في أنحاء متعددة من أسسه بما يزن أكثر من نصف طن من الديناميت، ثم أشعلت النيران في أسلاك الديناميت، فما أتت دقائق حتى كان هذا الكنيس الضخم تتهاوى جدرانه السميكة

وينقض جزء من قبته ويملأ الركام أرجاءه. وهكذا تخلص المجاهدون من مركز قوي من مراكز العدوان اليهودي في ذلك الحي. ولما استسلم اليهود ووقفنا في ساحة الحي نشرف على تنفيذ شروط الاستسلام قال لي أحد أعضاء وفد الاستسلام اليهودي والمرارة تأكل قلبه: لقد أخطأتم بنسف الكنيس وستندمون . فقلت له: لقد أنذرناكم أكثر من مرة بعدم اتخاذه مركزًا للعدوان فلم تستجيبوا، أما أن نندم فهذه معركة قائمة بيننا وبينكم ولم يمنعكم إجرامكم من قبلها أن تعتدوا على قبة الصخرة وتنسفوا المساجد في يافا وحيفا ودير ياسين وغيرها. ولما تم جلاء اليهود عن الحي أخذ فريق من المجاهدين يتفقدون الكنيس المتهدم فوجدوا بين الأنقاض أكثر من نسخة من التوراة ضمن صناديق فضية مستطيلة، وقد أهدى بعضهم قطعًا منها إلى بعض ملوك العرب ورؤسائهم واحتفظ بعضهم بنسخة كاملة منها.

معركة القدس الكبرى

لما تم جلاء الإنجليز عن القدس وكان الحي اليهودي لم يستسلم بعد، أدركنا حرج موقف حامياتنا في القدس الحديثة، وأن اليهود سيبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ إخوانهم المحاصرين في الحي اليهودي، وكانت الذخيرة عندنا قليلة، بل إن فوج اليرموك وكان فيه إخواننا وعدده أكثر من خمسمائة مجاهد كانت بنادقه ورشاشاته كلها من النموذج الألماني، ولم يبق لديهم من الذخيرة إلا نزر قليل جدًّا، مما حملني على أن أغادر القدس إلى دمشق طالبًا من قيادة جيش الإنقاذ تزويدنا بما نحتاج إليه من الذخيرة استعدادًا للمعركة المرتقبة، وقابلت طه الهاشمي وعرضت عليه ما جئت من أجله، ففاجأني بقوله: إن فوج اليرموك قد

سحب من القدس إلى مقر قيادة القاوقجي، فلماذا تطلب الذخيرة الألمانية؟ وهنا أدركت مصير معركتنا التي وضعت بأيدي مثل هذا الرجل، فقلت له: ومتى سحب فوج اليرموك؟ قال: منذ أسبوع، فقلت: إنك أرسلت برقية إلى قائد فوج اليرموك تطلب إليه أن يلتحق شخصيًّا بفوزي القاوقجي نظرًا لتبرم المجاهدين من جهله وغباوته وجبنه، أما فوج اليرموك فلا يزال في القدس وإخواننا فيه وأنا الآن قادم من القدس وبنادقنا خاوية من الذخيرة، فأجابني بكل صلف: «ملكو عندنا ذخيرة ألمانية» أي لا يوجد، فخرجت من عنده إلى رئيس الجمهورية وعرضت عليه الأمر، فاتصل بالهاشمي وطلب إليه أن يعطيني ذخيرة ألمانية، فلما عدت إلى الهاشمي وجدته مربد الوجه وخاطبني بقوله: كيف ننجح وكل شيء عندنا بالوساطات؟!..»، قلت له: إنني لا أتوسط لوظيفة عندك، ولكن أتوسط لنموت في المعركة موت الشرفاء!.. فأجابني: إنني أمرت بإعطائك خمسة آلاف طلقة إكرامًا لرئيس الجمهورية، فقلت له: هذه سينال منها كل بندقية عشر طلقات، ونحن في القدس نتناوش مع اليهود في كل ساعة، فماذا نستطيع أن نقاوم بهذه الرصاصات العشر؟ فألح في عناده وخرجت من عنده مغضبًا إلى وزير الدفاع فعرضت عليهم الأمر فاعتذر بأنه ليس عندهم ذخيرة ألمانية، وفي نهاية الحديث قال: إنه سيتصل بالقيادة العربية العليا للجيوش العربية في عمان ويطلب منها إجابتي إلى طلبي.

وقبل مغادرتي دمشق اتصلت به هاتفيًّا فأكد أنه اتصل بعمان ووعدوه بإجابة طلبي، وعدت إلى عمان في نفس اليوم واتصلت بالقيادة

العامة فكانوا مدهوشين من دعوي وزير الدفاع اتصاله بهم، وقالوا: إنه يعلم أن ذخيرتنا كلها إنجليزية فمن أين نأتيك بالذخيرة الألمانية؟ ولما يئست منهم اتصلت بأعضاء لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان وكلهم من خيرة التجار السوريين والأردنيين في العاصمة، وعرضت عليهم الأمر وطلبت منهم النجدة فأسرعوا يشترون كل ما وجدوه في السوق من ذلك وزادوا عليه عديدًا من القنابل وبعض الأسلحة. فعدت إلى القدس وقد حملت من عمان آلاف الطلقات التي تمكننا من الاستمرار في المعركة ساعات، وكان وصولي قبيل الغروب بدقائق ووجدت معركة الحي اليهودي مشتدة في ذلك اليوم، وقد جرح فيها الملازم الملوحي وما يزيد عن أربعين من إخواننا واستشهد فيها ما يزيد على سبعة من شهداء الإخوان، ووجدت القائد فاضل عبد اللّٰه مستلقيًا على فراشه مستغرقًا في نوم عميق من شدة الإعياء والسهر في الليالي الخمس المواضي، حتى إذا كان الوقت الساعة العاشرة ليلاً جاءتنا أنباء من جميع حامياتنا على أبواب مدينة القدس بأن اليهود قد شنوا هجومًا عامًّا على مختلف الأبواب، وركزوا هجومهم على باب الخليل الملاصق للحي اليهودي، عندئذ بدأت أوزع الرصاص على المجاهدين، ولما اشتد الهجوم الذي شنه اليهود على باب الخليل بما يقرب من عشرة مصفحات وآلاف المقاتلين، لم أجد بدًّا من الاستنجاد بإحدى العواصم العربية فطلبت كبار المسئولين باسم قائد حامية القدس، ثم أيقظت القائد فاضل عبد اللّٰه وأخطرته بخطورة الوضع، وأني قد طلبت كبار المسئولين في العاصمة العربية باسمه، وتم الاتصال بينه وبين كبير منهم، وأعلمه بخطورة الوضع في

القدس وطلب منه إرسال نجدة عسكرية على وجه السرعة فاعتذر على ذلك، وقال له وأنا أسمع: إذا وجدتم أنفسكم في موقف حرج فانسحبوا من القدس، فأجابه القائد: إن في القدس عدا أهلها ما يزيد على عشرين ألفًا من اللاجئين إليها بعد مجزرة دير ياسين، فإذا احتلها اليهود فستكون مجزرة لم يسمع بها التاريخ فأجابه المسئول الكبير، وهو يظن أن حامية القدس كلها من بلده: أنا آمرك بالانسحاب وأنتم عندنا أغلى!..

وهنا لم أتمالك من أن أقول له: إن الحامية تقسم أن لا يدخل اليهود القدس إلا على أشلائها، فإما أن تنجدونا وإما أن نقاتل حتى نستشهد جميعًا، وهنا جاء من يقول لنا: إن اليهود قد اقتحموا باب الخليل! فتركنا الحديث مع تلك العاصمة العربية! وأسرعنا إلى إخراج كل من كان في القيادة من الجنود حتى الجرحى ووزعنا عليهم كل ما كنت استحضرته من الرصاص والذخيرة من عمان، وأسرعنا إلي باب الخليل، وشاع في البلدة أن اليهود قد اقتحموا باب الخليل فخرج النساء والأطفال من بيوتهم وكان الكهرباء منقطعًا، وسمعنا مناديًا يقول: يا أهل القدس كل من عنده سلاح فليذهب إلى باب الخليل، وهرع الشباب والمقاتلون إلى هناك حيث تبين لنا أن اليهود لم يستطيعوا اقتحام باب الخليل للدفاع البطولي الذي قامت به الحامية هناك، وتحصن المجاهدون ومن هرع من أهل القدس وراء المتاريس عند باب الخليل وفوق أسواره وابتدأت المعركة الكبرى منذ الساعة الحادية عشرة ليلاً حتى الخامسة صباحًا كان فيها صوت الرصاص والقنابل والديناميت يَصُمّ الآذان بلا انقطاع، فلما انبلج الصباح انسحب اليهود وردهم اللَّه بغيظهم لم ينالوا خيرًا وخلفوا وراءهم

مصفحة قد دمرت وبعض القتلى الذي لم يستطيعوا سحبهم معهم.

وعاد المجاهدون إلى أماكنهم والمناضلون المقادسة إلى بيوتهم، وعدنا إلي مقر القيادة فوجدنا ذلك المسئول العربي الكبير يتصل بنا هاتفيًّا ليسألنا عن أنباء المعركة، فأجابه قائد حامية القدس بأن اللَّه قد نصرنا وأعاننا على صد هجوم اليهود، ولكن ذخيرتنا قد نفدت، فإذا لم تصلنا نجدة عسكرية في هذا اليوم، فإننا في خطر شديد إذا عاود اليهود الهجوم. وفي عصر ذلك اليوم وصلت قوة من المدفعية الصغيرة معها بعض الجنود، وبدأت تضرب الحي اليهودي من مشارف القدس، فارتفعت معنويات سكان القدس ودب الهلع في قلوب اليهود المحاصرين، وبعد ثلاثة أيام استسلم الحي اليهودي كما أسلفنا من قبل.

اتفق عدد من شباب القدس بعد انتهاء معركة الحي اليهودي على أن يتوجهوا إلى بعض العواصم العربية للإلحاح في إرسال بعض القوى العسكرية التي كانت قد وزعتها القيادة العربية العامة في أنحاء فلسطين إلى القدس حتى لا يتكرر الهجوم عليها، وجئت إلى دمشق وقابلت كبار المسئولين، وحكيت لهم قصة القدس فتعجبوا وقالوا: إن الأخبار التي تذاع من إحدى العواصم العربية وتنشرها الصحف تفيد بأن القدس الحديثة قد استسلمت للعرب!.. فكيف تقول إنكم محاصرون في القدس وأنا أحكي لكم القصة على حقيقتها، فاتصلوا بأمين الجامعة العربية الذي كان موجودًا في تلك العاصمة العربية فأكد لهم صدق حديثي، وأن الحالة سيئة، وهنا قال أحدهم: لقد دخلنا معركة فلسطين، ونحن لا نعلم حقيقة قوة الأعداء! فقال الآخر مستدركًا: لقد كنا نعلم

حقيقتهم تمامًا وهذا تقرير صفوت باشا قد تبين لنا انطباقه على الواقع، وهنا قلت له: إذا كنتم تعلمون حقيقة استعداد اليهود فكيف أعددتم جيش الإنقاذ لينقذ فلسطين وهو لا يزيد على أربعة آلاف غير مدربين تدريبًا كافيًا، وليست له قوة جوية ولا مدفعية إلا مدفعية بسيطة جدًّا مع أن في القدس الحديثة وحدها عشرة آلاف مقاتل يهودي؟! فأجابني: إننا لم نرسل جيش الإنقاذ ليحارب بل ليقوم بمهمات مؤقتة!..

فقلت له: ولهذا كان أكثر جيش الإنقاذ يتنزه في مناطق عربية بحتة كنابلس بينما كانت حيفا ويافا وغيرهما تسقط بأيدي اليهود، وكانت مجازر دير ياسين تقع على سمع هذا الجيش وبصره؟!.. فسكتوا جميعًا.

ثم عدت إلى القدس مع الأخ الأستاذ عمر الأميري الذي جاءها لأول مرة.

وبعد أيام قليلة وقعت الهدنة المشئومة وجاءتنا الأوامر من قيادة جيش الإنقاذ بدمشق بالانسحاب من القدس وتسليمها للجيش العربي بحجة أننا سنرسل إلى الجبهة السورية.

العودة إلى دمشق

كنا نشعر ونحن في قلب معارك القدس أن هناك مناورات تجري في الصعيد الدولي وفي أوساط السياسات العربية الرسمية العليا لجعل التقسيم أمرًا مفروغًا منه، ولجعل القدس تخرج من أيدي العرب والمسلمين، فتشاورنا في كتيبة الإخوان فيما يجب علينا فعله بعد صدور الأوامر إلينا بالانسحاب من القدس كما أسلفت، فقر رأينا على أننا لا نستطيع مخالفة الأوامر الصادرة إلينا بمغادرة القدس لاعتبارات متعددة،

وأننا بعد وصولنا إلى دمشق سنرسل بعض الإخوان خفية إلى القدس مرة ثانية لدراسة ما إذا كان بالإمكان عودتنا بصورة إفرادية لنتابع نضالنا في الدفاع عن فلسطين، وعدنا إلى دمشق مع سائر أفراد الحامية وقيادتها التابعة لجيش الإنقاذ، حيث تسلمت قيادة جيش الإنقاذ أسلحتنا، ووعدت باستدعائنا مرة ثانية عند الحاجة.

ووجدت من واجبي أن أكشف الحقائق التي تبينتها بنفسي في هذه المعارك لما وجدته من انخداع الجمهور بما يذاع ويكتب بإيحاء من مصادر عربية رسمية معينة، وألقيت في ذلك محاضرات في كل من دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية ودير الزور وغيرها من المدن السورية، وذهل الجمهور لما أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تمامًا، حتى شك بعضهم فيها، ثم اكتشف الأمر وتبين صدق ما أدعي عن العوامل الخفية والظاهرة التي كانت تسير معركة فلسطين.

هذا بينما كان فريق من إخواننا المجاهدين قد عادوا إلى فلسطين خفية لتنفيذ ما اتفقنا عليه، ومن بين العائدين الإخوان: زهير شاويش، والمرحوم كامل حتاحت، والشهيد ضيف اللّه مراد، وهنالك انضموا إلى فرقة التدمير في القدس حيث قاموا بأعمال بطولية رائعة من نسف الجسور والمستعمرات والسكك الحديدية التي كان يسيطر عليها اليهود، وحسبنا أن نعلم أن سكة حديد القدس ـ اللد لم يستطع اليهود إصلاحها واستعمالها إلا بعد مرور سنة ونصف على تدميرها.

وظل إخواننا هؤلاء على تعاون مع فرقة الإخوان المسلمين المصريين بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز، وهنالك استشهد الأخ ضيف اللّه مراد

في عمل فدائي من أروع آيات الإيمان والفداء» انتهى كلام الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه اللَّه ـ.

إنصاف الناس من شيم الأكرمين

أسهبنا في الكلام عن دور الإخوان المسلمين في مصر وسورية ـ في حرب فلسطين وإن كنا نخالفهم في أمور في منهجهم. فنحن سلفيون من نواصينا إلى أخمص القدمين.

وبالسلفية إعجابنا　　　إذا قلّ بالسلف المعجب

● ولكن ولاؤنا المطلق للَّه ولرسوله... وقد قال ﷺ: «**الكِبرُ مَنْ بَطَرَ الحق، وغَمَط الناس**»[(١)].

الإخوان كان لهم القدح المعلّى في الذود عن فلسطين...

وقوم آخرون أصحّ منهم اعتقادًا، وأقرب إلى اعتقاد أهل السنة من الإخوان، ولكنهم قصروا ولم يعطوا الدور الذي كان ينتظر منهم، وإن قالوا: إن هنا حرب مع الصوفية، فلا يقبل هذا منهم... فتصحيح عقائد الناس واجب على اللسان، والذود عن ديار المسلمين حين يقلّ الناصر واجب بل هو واجب الوقت وقد دهم اليهود بلاد المسلمين، وهذان الواجبان لا يتنافران وفقه الأولويات، واليهود على الأبواب يحتم الذود عن المقدسات، ولذا أنكر الشيخ محمد عبد السلام الشقيري على إخوانه ممن يذبُّون عن التوحيد تقصيرهم في واجب الدفاع عن فلسطين والحق معه ـ غفر اللَّه لنا وللجميع ـ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع رقم (٤٦٠٨)، و«الصحيحة» (١٣٤).